كلية الآداب

دائرة اللغة العربية

برنامج ماجستير اللغة العربية وآدابها

رسالة ماجستير

الأيديولوجيا في روايات أحمد رفيق عوض

إعداد الطالبة: تساهيل عيسى علي عاصي

الرقم الجامعي: 1155319

إشراف د. علي الخواجا

قدمت هذه الدراسة استكمالا لمتطلبات درجة الماجستير في برنامج اللغة العربية وآدابها

2022

كُلّيّة الآداب – الدّراسات العليا

برنامج ماجستير اللغة العربيّة وآدابها

الأيديولوجيا في روايات أحمد رفيق عوض
Ideology in the Novels of Ahmad Rafiq Awad

رسالة ماجستير مقدمة من الطالبة

تساهيل عيسى علي عاصي

إشراف الدكتور: علي الخواجة

تاريخ المناقشة: 2022/6/11

أعضاء لجنة النقاش

د. علي خواجة (رئيساً) .....

د. إبراهيم موسى (عضواً) .....

د. موسى خوري (عضواً) .....

قدّمت هذه الرّسالة استكمالاً لمتطلّبات درجه الماجستير في برنامج اللغة العربيّة وآدابها من كُلّيّة الآداب في جامعة بيرزيت – فلسطين

الإهداء

أهدي هذا العمل المتواضع إلى الذي لم يتوان يوما في إسعادنا

إلى أبي عطر الله قبره وطيب ثراه .....

إلى من وقرتها السماء، وراعتني منذ رأيت النور

أمي العزيزة .....

إلى زوجي وشريكي الداعم الأول لي في نيل هذه الدرجة العلمية

إلى أبنائي الأعزاء .....

شكر وتقدير

يقول تعالى: **(وفوق كل ذي علم عليم)**

الحمد الله، أولا وأخيرا الذي أعانني على إنجاز هذا العمل

فإنّني –هنا– أتقدم بشكري الجزيل، والتقدير العميق إلى الدكتور علي الخواجا على تفضله بالإشراف على هذا العمل الأدبي، وما أرشدني إليه وصوبني فيه.

وأشكر–كذلك– كل من ساعدني ووفر لي المادة العلمية لإنجاز هذه الرسالة وأخص بالذكر الدكتور أحمد رفيق عوض الذي اتسع صدره لمقابلتي.

ملخص

تُعدُّ دراسة الأدب العربي الحديث في فلسطين جزءا لا يتجزأ من دراسة الأدب العربي بعامة؛ ولكن ما يميزه أنه يطرح قضايا مرتبطة بالأمة العربية والإسلامية على امتداد عصورها، وبخاصة في عصر الحروب الصليبية التي تتشابه موضوعاتها من حيث الحثُّ على المقاومة والجهاد وتحرير الأرض والإنسان، وهذا ما يعكسه الأدب الذي يطرح قضايا تعكس توجهات الإنسان الفلسطيني، من خلال فنونه الأدبية المتنوعة؛ كالشعر والقصة والرواية والمقالة والسيرة والمسرحية والمقامة.

وهذه الرسالة هي قراءة للفكر الأيديولوجي الماثل في روايات الأديب الفلسطيني أحمد رفيق عوض، الذي حاول توظيف أفكاره ومعتقداته وثقافته فيها، فالباحثة تحاول من خلال دراستها أن تصل إلى تلك المفاهيم والأفكار التي وظفها الكاتب في أدبه المرتبط بالموروث الثقافي والشعبي الذي يصور المجتمع الفلسطيني عبر العصور من خلال رواياته التي تتناول نصوصاً وأحداثاً مجتمعية ملازمة له، إضافة إلى أن استخدام الأساطير والحكايات والمعتقدات يقوي النص الأدبي، ويستخدمها الكاتب لأغراض مهمة في الرواية، كشاهد على ما يقوله من جهة، وللتشويق ومتعة القارئ من جهة أخرى، ولكي يفسر الواقع من خلال النص الروائي، وقد كان ميدان الشعر الجاهلي سباقا إلى توظيف هذه الأساطير لمواجهة الحياة، فاعتُبر أحمد رفيق عوض من أهم الكتاب الذين أبدعوا ونوعوا في كتاباتهم ووظفوا التاريخ والأيديولوجيا فيها.

ولإخراج هذه الدراسة إلى النور استعانت الباحثة بالكثير من الكتب والمراجع ذات الصلة بالدراسة التي أنارت لها الطريق في تحليل النص الأدبي، واستخراج الأيديولوجيا بمستوياتها المختلفة فيه.

لقد أظهرت النتائج التي توصلت إليها الباحثة أن توظيف الأيديولوجيا في الأدب العربي بشكل عام أمر لا مفر منه؛ إذ يحتم على الأديب أن يتناولها، وبخاصة تلك التي انعكست بصورة واضحة على الروايات بما فيها روايات أحمد رفيق عوض.

وأوصت الباحثة في نهاية الدراسة بتناول الروايات الفلسطينية، وتحليلها واستخراج العناصر الفنية منها، وتوظيف التاريخ، أو الأسطورة، أو ما شابه ذلك فيها؛ لأن الرواية جزء لا يتجزأ من الواقع المجتمعي المعاش، ثم إن تناول روايات فلسطينية أخرى وتحليلها وإظهار ما فيها من قيم ومعان اجتماعية يفيد منه القُراء، وفي النهاية توصي الباحثة أن تكون هذه الدراسة محفزة لدراسات استكمالية أخرى لطلاب التعليم العالي، تهدف إلى توضيح دور الكاتب عوض الذي تشير إبداعاته إلى الكثير من التساؤلات الجمالية، ومدى ارتباطها بالواقع الفلسطيني.

Abstract

Studying modern Arabic literature in Palestine is an integral part of studying Arabic literature in general. However, it is distinguished by presenting issues associated with the issues of the Arab and Islamic nation throughout different ages; especially in the age of Crusades; as its topics are similar in terms of urging resistance, struggle and liberation of the human and the land; which is reflected by literature through presenting issues that reflecting the trends of the Palestinian human, through various literary arts such as poetry, story, novel, essay, biography, play, and maqama.

This thesis is an attempt to read the ideology which is represented in the novels of the Palestinian author, Ahmad Rafeek Awad, who attempted to utilize his thoughts, believes and culture in them. The researcher attempts, through her study, to reach to those concepts and ideas utilized by the author in his literature associated with the cultural and popular heritage which reflects the Palestinian society throughout ages through his novels which address societal texts and events. In addition, the usage of legends, tales and beliefs strengthens the literary text, and the author utilizes them for significant purposes in the novel; as a witness for his statements on one hand, and also for suspense and entertainment of the reader on the other hand, and also to interpret the reality through the novel's text. The pre-Islamic poetry has had a proactive role in utilizing such legends to confront life; as Ahmad Rafeek Awad has been considered as one of the most significant authors who have been creative and produced various writings and utilized history and ideology in them.

To bring this study to light, the researcher used several books and references associated with the study which illuminated the way for analyzing the literary text, and extracting different ideologies from it; even if some researchers preceded her in utilizing history and others in these novels.

The results obtained by the researcher revealed that utilizing ideology in Arabic literature in general is inevitable; and it is necessary to be addressed by the author; especially the ideology which has been clearly reflected on novels including the novels of Ahmad Rafeek Awad.

At the end of the study, the researcher recommended to address Palestinian novels, and also to analyze them and extract the artistic elements from them, and also to utilize history or legend, or the like; as novel is considered as an integral part of the actual social reality, then to address other Palestinian novels, analyze them and extract the values and social meanings from them for benefiting readers. In the end, the researcher recommends that this study will be motivational for other complementary studies for higher education students, and it aims to clarify the role of the author Awad whose creative work is indicative of several aesthetic questions, as well as the level of the association of his work with the Palestinian reality.

فهـرست المحتويات

الإهداء .....أ

شكر وتقدير ..... ج

ملخص ..... د

Abstract.....و

فهرست المحتويات ..... ح

الفصل الأول: الإطار النظري..... 1

المقدمة: 2

أسئلة الدراسة 9

منهج الدراسة 9

أهمية الدراسة 11

أهداف الدراسة:..... 11

تهدف هذه الدراسة إلى: 11

سبب اختيار الموضوع..... 12

أدبيات الدراسة/ الدراسات السابقة 12

أ. الدراسات السابقة للأعمال الأدبية للروائي أحمد رفيق عوض..... 12

التعقيب على الدراسات..... 16

مصطلحات الدراسة 18

الفصل الثاني: بين يدي الراوي والروايات 21

المطلب الأول: التعريف بالكاتب أحمد رفيق عوض..... 22

حياة أحمد رفيق عوض 22

ماذا قيل عنه؟..... 24

المطلب الثاني: التعريف بالروايات 29

بدايات الرواية الفلسطينية 29
ارتباط الأيديولوجيا بالرواية 31
علاقة الرواية الفلسطينية بالأيدلوجيا 32
نظرة على روايات عوض 34
أهم مؤلفاته: 35
عرض الروايات 36
الفصل الثالث الأيديولوجيا في الروايات 41
المطلب الأول: الأيديولوجيا واستخداماتها. 42
أولا: الأيديولوجيات 44
1) مفهوم الأيديولوجيا عند المفكرين 44
ب . الموقف الايديولوجي عند جورج أورويل 49
جـ الموقف الأيديولوجي عند ألبير كامو: 51
2) الأيديولوجيا والدين: 52
3) الأيديولوجيا والأدب 54
من المعتقدات الشعبية الفلسطينية 68
المطلب الثاني: الأيديولوجيا في روايات عوض 77
المبحث الأول: الأيديولوجيا الدينية 91
المبحث الثاني: الأيديولوجيا الاجتماعية 113
المبحث الثالث: الأيديولوجيا السياسية 127
الخاتمة 153
المراجع والمصادر 156
الملاحق 168

الفصل الأول: الإطار النظري

مقدمة

مشكلة الدراسة

أسئلة الدراسة

منهج الدراسة

أهمية الدراسة

أدبيات الدراسة

مصطلحات الدراسة

المقدمة:

يُعدُّ الأدب مرآة صادقة عن المجتمع الإنساني، ويصبح الأديب ناطقاً عن مجتمعه، فينقل لنا أوجاع المجتمع وأفراحه، ويؤرخ لعاداته وتقاليده، ويكون ذلك كله بالأجناس الأدبية المتعددة، من شعر، ومثل، وخطابة، وقصة ورواية، وإن كان الشعر في العصور العربية الأولى يُعد ديوان العرب، فالرواية في هذا العصر تُعدُّ ديوان الإنسان المعاصر، بعد تفوقها، أو لنقل تصدرها، الأجناس الأدبية الأخرى[1].

وإذا كان مقصد منشئ الرواية، أو الرواية نفسها، الوصول إلى عكس صورة أو صور المجتمع المرويّ عنه، فإنَّ ما تشتمل عليه سيكون خليطاً من المعتقدات أو المذاهب السياسية أو الأفكار الاجتماعية أو الثقافية السائدة في ذلك المجتمع، وهو ما يُطلق عليه مصطلح الأيديولوجيا، ذاك المصطلح الذي حارت تعريفات المشتغلين فيه، وتعددت حدوده[2].

تعدُّ الرواية شكلا من أشكال الأدب العالمي وفنونه، وهذا الفنُّ، الذي تدرج في نضوجه حتى استوى على سوقه، يحاول أن "يوفق ما بين شغف الإنسان الحديث بالحقائق وحنينه الدائم إلى الخيال... وما بين غنى الحقيقة وجموح الخيال اجتهدت الرواية أن تحتقب صفات الأجناس الأدبية الأخرى"[3]

تقوم الرواية على إبداع الراوي، وقدرته على التحكم بأحداثها، وسلسلة زمانها، وهو الذي يخلق الشخصيات أو يجعلها فانية، وفي العادة يكون أحد "شخوص القصة إلا أنه

---

[1] خصصت مجلة فصول عددها الرابع من المجلد الحادي عشر، لمناقشة هذه القضية، وكان عنوانه "زمن الرواية" الهيئة المصرية للكتاب 1993م.

[2] يُنظر: مصطلحات الدراسة. ص:18، من هذه الدراسة

[3] فريجات،عادل: مرايا الرواية، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2000م. ص:9.

ينتمي إلى عالم غير العالم الذي تتحرك فيه شخصياتها، ويقوم بوظائف تختلف عن وظيفتها، ويسمح له بالحركة في زمان ومكان أكثر اتساعاً من زمانها ومكانها"[1] ويعمل هذا الراوي على نقل أحداث ربما كانت حقيقة أو جاء بها من نسج خياله، ولا يُشترط فيه أن يكون عايش تلك الأحداث أو الوقائع، وبذلك يُعد ناقلاً للمعلومة من العالم بالتفاصيل والخفايا إلى الغائب عنها، فهو إذن "يروي الأحداث التي شهدها أو سمع عنها، وهو الذي يروي سيرة حياته كما عاشها أو كما يراها في زمن الكتابة"[2]

للرواي وظائف محورية في الرواية، منها:

أ. الوظيفة التأويلة: وهي وظيفة تتعلق بموقف الراوي من الحكاية، وتأويل العلاقات القائمة بين ما يسرده الراوي وما يرويه؛ إذ يقوم "الراوي المفارق لمرويه بإيجاد علاقة ما بين ما يرويه والبنية الثقافية للمرجع، من أجل شحن الخطاب بدلالته في زمن روايته"[3].

ب. الوظيفة التفسيرية: وهي من أهم الوظائف؛ إذ لا تقف عند سرد الحكاية بل تدخل في أعماقها، وتبحث عن أدق التفاصيل، بل ربما تبحث عن حكاية الحكاية، إن جاز لنا التعبير، وفي بعض الروايات نجدها تتكئ على هذه الوظيفة اتكاء تاماً، وهي تتلاعب بعملية التفسير والتعليل؛ فتجعل الراوي يحكيها

---

[1] الكردي،عبد الرحيم: الراوي والنص القصصي،ط2 ، دار النشر للجامعات،القاهرة،1997م. ص17.

[2] زيتوني،لطيف: معجم المصطلحات نقد الرواية،ط1،دار النهار، بيروت، دار النهار، 2002م. ص 95.

[3] إبراهيم،عبدالله: السردية العربية بحث في البنية السردية للمورث الحكائي العربي،ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ،بيروت ،2000. ص:168.

مرة عن طريق رؤيته ومرة أخرى برؤية مغايرة ثم يحكيها مرة ثالثة ورابعة تختلف عن سابقاتها[1].

ت. الوظيفة التقويمية: ترتبط هذه الوظيفة بالأحكام الصادرة عن الراوي في كل ما يتعلق بأقوال الشخصيات وأفعالها، وهي "الوظيفة التي يجسدها ما يطلقه الراوي من أحكام وآراء في شأن الشخصيات والأحداث"[2].

ث. الوظيفة الأيديولوجية: وهي "تختص بموقف الراوي من الحكاية وتبرز من خلال تدخل الراوي بصورة مباشرة وغير مباشرة للتعليق على مضمون الحكاية"؛ إذ لا يمكن أن يكون التدخل مباشراً أو صريحاً، وتتقاطع هذه الوظيفة مع الوظيفة السابقة؛ أي التقويمية؛ لأنهما تدخلان في إطار الخطاب الأخلاقي والتقويمي الذي يحمله الراوي في منظوره للشخصيات وسلوكاتها. إضافة إلى ذلك، فإن الوظيفة الأيديولوجية تتعلق بنوع الخطاب الموظَّف في الرواية، على أنواعه المتعددة من تنويري إلى مذهبي، أو تربوي أو أخلاقي.

وإذا كان الراوي، بما يقع عليه من وظائف روائية هو محور البناء الفني للعمل الروائي، فإن هناك عناصر أساسية أخرى تتآزر فيما بينها حتى يكتمل البناء الروائي، منها اللغة والحوار، والحدث، والشخصيات، والمكان والزمان[3].

وفي العودة إلى الوظيفة الأيديولوجية للراوي في روايته، من المهم أن نفرّق بين تلك الوظيفة التي قد تتسلل عفوية، أو عن غير قصد، داخل النص، وبين أن يكون العمل الأدبي

---

[1] يُنظر :الكردي،عبد الرحمن: الراوي والنص القصصي. ص:63.

[2] القاضي ،محمد وآخرون: معجم السرديات،ط1، دار محمد للنشر، تونس ، 2010م. ص:4730

3يُنظر مبحث: البناء الفني في الرواية العربية، ص: 138 من هذه الدراسة.

قائماً لوظيفة أيديولوجية؛ لأن الثانية تكون مقصودة، وتهدف لتحقيق غايات يسعى منشئ العمل إلى تحقيقها، أو إيصالها للمتلقي، بل زرعها فيه، ويعد هذا النوع من التدخل الصارم، سبباً لضعف النص الروائي وفساده، واستطاع عدد كبير من رواد الرواية، أن يتخلصوا من أعباء الأيديولوجية التي يؤمنون بها؛ فمثلا "الروائي البرتغالي (جوزيه ساراماغو) المنتمي إلى الحزب الشيوعي البرتغالي، لم يكن منفذًا للشروط والقوانين، ولم تكن رواياته تعكس رؤية الحزب الذي ينتمي إليه، بل كان يكتب برؤية فلسفية مختلفة، يفاجئ بها القارئ كل مرة، ويتحول إلى مبدع ذي مخيلة رائعة عند الجلوس إلى طاولة الكتابة، ما أعنيه بضرورة الفصل الفاعل والكامل بين المواقف الفكرية والأيديولوجية للكاتب وبين نصوصه الروائية الإبداعية!"[1].

وفي السياق ذاته، جاءت تجربة الروائي والسياسي المعروف ماريو بارغاس يوسا، الذي انتهج "مبدأ «ما للسياسة للسياسة، وما للأدب للأدب» بما يثبت كيف يمكن أن تتحرر الرواية من سطوة الأيديولوجيا، فما قدمه من روايات حافظت على روح الأدب، ونأت بها عن سطوة الأيديولوجيا. بل حتى هذه الأيديولوجيا لم تكن دوغمائية[2]، وإنما متحولة ومتجددة من وقت لآخر، إلى درجة أن أثارت تحولاته ومواقفه حفيظة المعجبين بأعماله من القراء والأدباء والنقاد"[3].

---

[1] المحيميد، يوسف: هل يمكن تحييد الأيديولوجيا عن ملامح النص الروائي، صحيفة الشرق الأوسط، 12فبراير 2017.

[2] الدوغمائية: تأكيد الرأي أو القطع به، وبخاصة بغطرسة ومن غير بينة. وهي مذهب مَن يثق بالعقل وبقدرته المطلقة على إدراك الحقيقة، والوصول إلى اليقين، وهي صفة مَن يثق بعقله وبنظرياته. يُنظر: البعلبكي، منير : المورد، دار العلم للملايين بيروت،ص:363. و سعيد،جلال الدين: معجم المصطلحات اوالشواهد الفلسفية، دار الجنوب للنشر،تونس، 2004. ص:191.

[3] المحيميد، يوسف : هل يمكن تحييد الأيديولوجيا عن ملامح النص الروائي، صحيفة الشرق الأوسط، 12فبراير 2017.

في أغلب الروايات العربية، نجد هيمنة للأيديولوجيا على الخطاب الروائي العربي؛ مما يجعل مقصد ذلك العمل الأدبي خدمة تلك الأيديولوجيا، فيتحول النص الروائي الجمالي إلى نص هيولي[1]، أو مادة خام للنص المؤدلج[2]،لذا فإنّ النص الروائي الذي يتقصد خدمة الأيديولوجيا، يضعف أمام إغراءاتها، ويعني أنها– أي الأيديولوجيا– قد استغلته، وحوّلته إلى أدب شعاراتي، وهو ما يجب على الأديب والروائي الحقيقي الحر الحذر منه، ومن تسلل الأيديولوجيا الضيقة سهوًا إلى الرواية، فكثير من الروايات تُبهرنا في بداياتها، وتأسرنا بلغتها وبنائها الفني، ثم ما يلبث الروائي المؤدلج أن يستيقظ، ويتدخل في النص بشكل مقلق، لتتحول الرواية إلى خطاب أيديولوجي مكرر، فتكرّس خطابًا سياسيا واجتماعيا مملا وباهتا[3].

لا يكاد يفترق الروائي في عمله عن أي فنان تشكيلي؛ فإن كان الفنان يُبدع بانتقاء ألوانه ومزجها ليخلق منها عملاً خالداً، فالأمر سيان عند الروائي الذي ينتقي عناصر عمله من شخصيات ومواقف ونصوص؛ ليغدو النص روائيًا إنسانيا، مكتملاً ببنائه الفني والجمالي، بما يضمن بقاءه وقابلية قراءته على مستويات متعددة وطبقات مختلفة، على مدى عقود زمنية طويلة[4].

والسؤال المطروح دائماً؛ هل يجوز القول: إنَّ الأيديولوجيا المباشرة حين تتسلل من باب الأدب، يهرب الإبداع والفن من نافذته؟

---

[1] **الهُيولي**: مادَّة الشَّيْء الَّتِي يصنع مِنْهَا كالخشب للكرسي وَالْحَدِيد للمسمار والقطن للملابس القطنية و(عِنْد القدماء) مَادَّة لَيْسَ لَهَا شكل وَلَا صُورَة مُعينَة قَابِلَة للتشكيل والتصوير فِي شَتَّى الصُور وَهِي الَّتِي صنع الله تعالى مِنْهَا أَجزَاء الْعَالم المادية والتخطيط المبدئي للصورة أَو التمثال والقطن. المعجم الوسيط. 1004/2

[2] المؤدلج أو المقولب: صاحب أيديولوجية منغلق على نفسه.

[3] سيزا،القاسم: بناء الرواية، ط1،الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1984.

[4] عيلان،عمرو:الأيديولوجيا وبنية الخطاب الروائي، ط1، منشورات جامعة منتوري قسنطينة، الجزائر، 2001.

تكاد الإجابة عن هذا السؤال معلومة، وهي: نعم، ولكنَّ هذا لا يعني أن العمل الأدبي عمل فارغ هلامي[1]، لا يحمل مضمونًا، ولا يحمل رسالة، أو همًا، بل يحمل همًا إنسانيًا كونيًا، يستلهم الفن والجمال، ويوظفهما في خدمة الحدث والشخصيات، أو لنقل في خدمة الرواية بعناصرها المتعددة؛ فعندما نجد الشخصيات التي استلبها المجتمع، لأسباب عنصرية، أو طبقية، أو غيرها، في رواية ما، نجد أَنَّ هذه الشخصيات لا تملك حق الكلام والتعبير عن واقعها، ومأساتها، هنا يكون لزاماً على الكاتب المبدع أن يمنحها، في عمله، هذا الحلم في الكلام والتعبير، وجعلها تتحدث بمنتهى الحرية، وهو معروف ضمن حريات الإنسان في مختلف المجتمعات البشرية، وكل العصور.

ولعل رواية «الحمام لا يطير في بريدة» للروائي يوسف المحيميد، مثالاً واقعياً على منح الشخصيات الحق في إعلاء الصوت، والجرأة في تناول بعض مظاهر المجتمع السعودي المتستر عليها، معلنة أن التستر يزيد من المشكلات وحدتها، ولا علاج إلا بأشعة الشمس الساطعة التي تكشف كل عوار، وتظهر كل خلل؛ فكان بطل الرواية فيها، بكل بساطة، يبحث عن خلاصه الفردي، حتى لو اضطر إلى الانهزام أخيرًا، والهرب خارج الحدود، بحثًا عن هواء حرٍ يتنفسه[2].

لم يختلف وجود الأيديولوجيا في الرواية الفلسطينية، عنه في الروايات العربية، وإذا كان (هيكل) هو صاحب البصمة الأولى في ميلاد هذه الرواية العربية، من خلال روايته (زينب)، فإنّ رواية (الوارث) لخليل بيدس، التي كُتبت عام (1920م) ،تعد أولى الروايات

[1] الهلام في أصله: مادة بروتينية شفافة تستخرج من الأنسجة الحيوانية الْمُخْتَلفَة مثل الْجلد والعظم والأربطة وَتكون جامدة عِنْد جفافها وَلكنهَا تتحول إِلَى سَائل بالرطوبة. المعجم الوسيط. 992/2

[2] الخطيب ،محمد كامل: الرواية والواقع، ط1، دار الحداثة، بيروت، لبنان،1981.

الفلسيطينية، وكانت أول محاولة روائية[1]، وأشارت بعض المصادر التاريخية والأدبية إلى "أَنَّ الشيخ أحمد التميمي من الخليل، هو أول من أبرز رواية بالعربية وسمَّاها (أم حكيم)"[2]

ومن أكثر الروايات أهمية، رواية مذكرات دجاجة، لإسحق موسى الحسيني، التي صدرت سنة 1943، مشفوعة بمقدمة للدكتور طه حسين، "ولا تكمن أهمية هذه الرواية فحسب في كونها النص الروائي الفلسطيني الوحيد، من أعمال تلك المرحلة، الذي حقق رواجاً استثنائياً أثناء صدوره؛ إذ أثارت ضجة حينذاك، واختارها القراء وقدموها على سائر ما صدر في سلسلة اقرأ من كتب في استفتاء أجرته دار المعارف لقراء العربية، إضافة إلى حضورها الأدبي والتاريخي كرواية فلسطينية وعربية معاً"[3].

بعد ذلك، تطورت الرواية العربية، والفلسطينية كذلك، شكلاً ومضمونا وموضوعاً، وعالجت قضايا مجتمعية وسياسية، واقتصادية في شتى الدول العربية، وارتبط تطور العمل الروائي الفلسطيني بتطور العمل الروائي العربي، وقام الروائيون العرب بعامة والفلسطينيون بخاصة للقضية الفلسطينية، واستطاعوا أن يرفدوا الأدب العربي وبخاصة بعد منتصف القرن العشرين وبدايات القرن الحادي والعشرين، بموضوعاتها المختلفة، ومن بينهم الكاتب أحمد رفيق عوض، الذي أظهر صمودا وتحديا كبيرين في مواجهة الاحتلال في مجالات مختلفة، جعلت منه رجلا سياسيا وشخصية وطنية بامتياز، عكس ذلك في أعماله الروائية مدافعاً عن شعبه وحقوقه المسلوبة، تارة، وعن المشاكل الاجتماعية التي يعيش فيها المواطن

---

[1] وادي، فاروق: مدخل تاريخي للرواية الفلسطينية، شؤون فلسطينية، ع 110، 1981م. ص: 122.

[2] فرهود،كمات قاسم: أعلام الأدب العربي في العصر الحديث، مطبعة دار المشرق للترجمة والنشر ،شفاعمرو،4/2.

[3] وادي، فاروق: مدخل تاريخي للرواية الفلسطينية، شؤون فلسطينية، ع 110، 1981م. ص: 122.

الفلسطيني، وهنا يأتي السؤال الجوهري الذي سنعمل على الإجابة عنه في نهاية هذا البحث، وهو:

ما أشكال الأيديولوجية التي ظهرت في الانتاج الأدبي للروائي أحمد رفيق عوض؟

أسئلة الدراسة

تنبثق أسئلة فرعية من السؤال الرئيس السابق، هي:

1. ما المقصود بالأيديولوجيا ؟
2. ما أشكال الأيدولوجيا المُوظَّفة في الروايات المدروسة؟
3. ما العلاقة التي تربط روايات عوض بالحالة الثقافية والاجتماعية الفلسطينية ؟
4. ما الملامح الفكرية التي ظهرت في النص الروائي عند عوض ؟
5. كيف وظف أحمد عوض الأيديولوجيا في الكشف عن الأحداث السياسية، والتاريخية، والاجتماعية؟

منهج الدراسة

اتبعت الباحثة في هذه الدراسة المنهج الوصفي التحليلي، بوصفه منهجاً علمياً في وصف الأعمال الأدبية وما يتطلبه وصف تلك الأعمال من خلفية علمية، ثم الكشف عن الأحداث في الرواية، ثم تحليل تلك الأعمال، وإظهار المواطن الأيديولوجية فيها، إضافة إلى

مقابلة مع المؤلف لجمع المعلومات عن الروايات، كل ذلك للوصول إلى نتائج علمية أشبه ما تكون أكيدة، بعيدة عن التحيز وتتمتع بالموضوعية.

بناء على هذه المنهجية، فقد توزعت الدراسة على الفصول الآتية:

- الفصل الأول، احتوى على المقدمة، والإشكالية، وأسئلة الدراسة، والأهداف، والأهمية، والفرضيات، والمنهجية، ومصطلحات الدراسة؛ حيث تطرقت الباحثة في المقدمة إلى الأيديولوجيا والمعتقدات الشعبية، ثم الرواية الفلسطينية، وما حوته من أحداث اجتماعية، وسياسية اختلافها، والدراسات السابقة التي تناولت أعمال الأديب أحمد رفيق عوض، كرسائل ماجستير، أو دكتوراه، أو مؤلفات.
- الفصل الثاني، شمل الإطار النظري تم التعريف بالأيديولوجيا وأنواعها، مثل: المعتقدات الشعبية، والثقافية، والدينية، والسياسية، ثم التعريف بالأعمال الأدبية التي سيتم تحليلها في هذه الدراسة.
- الفصل الثالث، يحمل عنوان الأيديولوجيا في روايات مختارة، وفيه تحليل للروايات العينية (العذراء والقرية، وعكا والملوك، والقرمطي، وبلاد البحر ،مقامات العشاق،آخر القرن)، وثم معرفة مظاهر الأيديولوجيا التي ظهرت فيها، وكيفية توظيفها في الروايات، إضافة إلى خاتمة، وقائمة بالمصادر والمراجع.

أهمية الدراسة

تكمن أهمية هذه الدراسة في أنها تسعى إلى الوقوف على معالم الثقافة الشعبية والأيديولوجية؛ كالأخلاق، والقيم، والاتجاهات، والأفكار الماثلة في روايات مختارة للأديب عوض، وتتبعت إن كان فيها تغيير، أو ثبات، إضافةً إلى إظهار دور الرواية الفلسطينية في الحفاظ على هذه الأيديولوجيا، و مدى هيمنة الأيديولوجيا على الكاتب، وتسللها في أعماله، وتظهر مدى ارتباط الثقافة بالعمل الروائي، وبذلك يكون عمل الباحثة في محاولتها لتسليط الضوء على الأيديولوجيا في العمل الروائي العربي بعامة، والفلسطيني بخاصة، لعلَّ ذلك يفتح باباً للباحثين والدارسين لتوجيه أبحاثهم ونقدهم إلى هذه الظاهرة المنتشرة في الأعمال الأدبية، وهي كثيرة، وتحتاج إلى جهود الغُيُر من الباحثين والدارسين لدراستها وفي ذلك إغناء للمكتبة الفلسطينية والعربية.

أهداف الدراسة:

تهدف هذه الدراسة إلى:

1. التعرف إلى أحمد رفيق عوض وأعماله الروائية.
2. التعرف إلى مظاهر الأيديولوجيا في الروايات المختارة.
3. التعرف إلى أبرز المعتقدات الشعبية في المجتمعات.
4. استخراج التشكيل الأيديولوجي عند الكاتب من الروايات المختارة.

سبب اختيار الموضوع

تتعدد أسباب اختيار الباحثة لهذا الموضوع، لعل أبرزها:

1. اهتمام الباحثة بفن الرواية الفلسطيني وكُتّابه.
2. ومحاولة الوقوف على الأحداث التاريخية والسياسية، والاجتماعية عن قرب.
3. تمييز السرد الروائي المحتوي على الأيديولوجيا في روايات عوض عن غيره من أنواع السرد.
4. إغناء المكتبة بدراسة تحليلية لعينة من الروايات الفلسطينية، وإفادة الدارسين بها.

أدبيات الدراسة/ الدراسات السابقة

ستُقسم هذه الدراسات إلى قسمين، تلك الدراسات التي تناولت الإنتاج الأدبي للروائي أحمد رفيق عوض وحللته، والنوع الآخر؛ تلك الدراسات التي عالجت الأيديولوجيا في الأعمال الأدبية الفلسطينية.

أ. الدراسات السابقة للأعمال الأدبية للروائي أحمد رفيق عوض

1. **عين السارد**[1]، تناول فيها الباحث سيرة الكاتب، وإبداعاته، وبعضاً من ملامح خطابه الروائي.
2. **جوائز الفحم**[2]؛ جمع فيها الباحث مقالات نقدية لمجموعة من الكُتَّاب، وكان منهم الروائي أحمد رفيق عوض؛ إذ سلط الضوء على روايات الروائي عوض، و قدم في

[1] خواجا،علي: دار الماجد للنشر والتوزيع، رام الله ، 2003م.

[2] خواجا،علي: المؤسسة الفلسطينية للإرشاد القومي، رام الله ، 2003م.

تلك المقالات نقداً استقرائيا حول أعمال عوض، وأظهرت تلك المقالات إبداع عوض وتميزه في سرده ولغته، وقوة البناء الفنية للرواية الفلسطينية في ظل الاحتلال.

3. **مقاربات نقدية**[1] تحتوي هذه المقاربات على مقالات، وأبحاث لكتاب وأكاديميين، تقوم على البحث والاستقصاء والمقارنة لإيجاد منهجية واضحة، وخطوط عريضة وأساسية للنقد المحلي الفلسطيني.
4. **القرية والمدينة في الرواية الفلسطينية المعاصرة: أحمد رفيق عوض أنموذجاً**[2]؛ تناول الباحث فيها (ثنائية القرية والمدينة)، وسعى إلى استكشاف هذه الظاهرة في النص الروائي لأحمد رفيق عوض.
5. **توظيف التاريخ في روايات أحمد رفيق عوض**[3]؛ تناولت هذه الدراسة مفهوم الرواية التاريخية في العصر الحديث وتطورها من مرحلة إلى أخرى عبر التسلسل الزمني؛ لتظهر رؤية الكاتب المغايرة للتاريخ، في محاولة منه لقراءة الحاضر بعيون الماضي، وجاء ذلك كله بتوضيح أثر النص التاريخي في الرواية الأدبية التي تأخذ منه وتحوره إلى نص سردي قابل للقراءة والتأويل، إضافة إلى استكشاف أثر التاريخ في الأدب من خلال روايات عوض، وتعدُّ هذه الدراسة الأقرب إلى دراستنا.
6. **الشخصية في أعمال أحمد رفيق عوض الروائية دراسة في ضوء المناهج النقدية**[4]؛ تناولت هذه الدراسة موضوع بناء الشخصية في روايات أحمد رفيق

---

[1] خواجا،علي: مقاربات نقدية، دار الماجد للنشر والتوزيع، رام الله ، 2004م.

[2] ناصر، زاهي: أطروحة لنيل درجة الماجستير في برنامج الدراسات العربية، جامعة بير زيت، 2006.

[3] قطوسة،حسن ماجد: أطروحة لنيل درجة الماجستير من عمادة الدراسات العليا، كلية الآداب، جامعة القدس، 2013م.

[4] عدوان، سعد: أطروحة لنيل درجة الماجستير من عمادة الدراسات العليا، كلية الآداب، الجامعة الإسلامية، 2014م.

عوض، هادفة إلى الكشف عن ماهية الشخصية في رواياته، وطرق تقديم تلك الشخصية عنده بشقيها المباشر وغير المباشر، وأصناف الشخصيات عنده، سواء أكانت رئيسية أم ثانوية أم نامية، ودراسة الشخصيات البارزة عنده كشخصية الفلسطيني بأَنماطها، والشخصيات التراثية بإنماطها، وشخصية اليهودي بأنماطها، ثم بيَّنت سمات تلك الشخصيات ومدى تطابقها مع واقعها.

ومِن أبرز النتائج التي توصلت إليها هذه الدراسة أن أسلوب عوض في تقديم الشخصية يميل إلى النمط غير المباشر، إضافة إلى أن استخدام الشخصية التاريخية لم يكن عشوائيا، بل كان ينم عن دراية في التاريخ و رمزيته، كما أنه يحتاج إلى اطلاع واسع في فهمه، وفيما يخص شخصية الفلسطيني، فإنّ الدراسة كشفت عن ملامح التشظي في روايات عوض، و ذلك يعبر عن واقع الهوية الفلسطينية وفق ما ظهر للباحث سعد عدوان.

7. **البنى السردية في روايات أحمد رفيق عوض "القرمطي"، "عكا والملوك" أنموذجا**[1]؛ جاءت هذه الدراسة في تمهيد وستة فصول؛ إذ تضمّن التمهيد لمحة عن حياة الكاتب، ورحلته الروائية التي بدأت من العام 1992 إلى عام الدراسة، وعالج الفصل الأول الروايات من ناحية سيميائية، عن طريق تحليل عتبات العنوان، والغلاف، ثم حلل الفصلان الثاني والثالث بِنية الشخصية والمكان في الرواية، وعمليات التطوير الخاصة التي أجراها عوض في النص للوصول إلى حالة تماهي الشخصية والمكان،

[1] شاهين، معالي: أطروحة لنيل درجة الماجستير من عمادة الدراسات العليا، كلية الآداب، الجامعة الإسلامية،2017م.

وعالج الفصلان الرابع والخامس جدليات الزمن وآليات السرد وأنواعه، وكان الفصل الأخير فصلاً تطبيقياً لنماذج السرد في الروايات، ليظهر الحق الفلسطيني في أرضه، ووطنه. ومن أبرز ما توصلت إليه هذه الدراسة: أن سرديات عوض جاءت متنوعة، ولم تأخذ التاريخ من الجانب التسجيلي فحسب، بل إنها قدمت النص بشكل إبداعي ينم عن معرفة أصيلة في التاريخ، وروح ثاقبة للعملية الإبداعية، إضافة إلى امتلاك مهارات الترميز العالي التي مكنت الرواية من تقديم الرسائل المعاصرة في ثوب التاريخ المنتهي.

ب. الدراسات التي تناولت الأيديولوجيا

1. **المعتقدات الشعبية في التراث العربي: دراسة في الجذور الأسطورية، والدينية والمسلكية الاجتماعية**[1]؛ حيث أفادت دراستنا بالمادة النظرية والتعريف بأنواع الأيديولوجيا.
2. **الرواية بين الأيديولوجية والفن، الرواية الأردنية أنموذجا**[2]؛ وفي هذه الدراسة كثير من المعتقدات الشعبية التي وظفها عوض، وخليل، كون الشعبين الأردني والفلسطيني توأمين، مما يُساعد دراستنا في تحليل تلك المعتقدات.
3. **الدين والأيديولوجيا**[3]؛ ركزت هذه المقالة على طرق إدخال الدين وإقحامه بالأيديولوجيا.

---

[1] الباش ، حسن، والسهلي،محمد توفيق: دار الجليل، دمشق، 1988.

[2] معالي،حنين: شركة الآن ناشرون وموزعون،عمان، 2021م.

[3] برقاوي،أحمد: مجلة البيان، الإمارات، 2016/10/04م.

4. **كيف نفهم مصطلح "الأيديولوجيا" في سياقنا العربي؟**[1] وفي هذه الدراسة تعريف بمصطلح الأيديولوجيا، وكيف يثبته المجتمع بأبنائه.
5. **المعرفي والأيديولوجي في الفكر العربي المعاصر**[2]؛ واتفق في دراسته مع المسيري في التعريف بالأيديولوجيا ومفاهيمها، وأهميتها.
6. **دراسة لابروزين**، عبيد. (2017). [هناك خطأ في الاسم لم أعثر عليها] فقد بينت التداخل ما بين الأدب والأيديولوجيا، التي نشرت في مجلة العرب الجديد؛ حيث أفادت دراستنا، كون الروايات جزءا من الأدب.
7. **العلاقة ما بين الأدب والأيديولوجيا**[3]؛ عرضت آراء الكثير من الأدباء والنقاد حول الأدب والأيديولوجيا.

التعقيب على الدراسات

إنَّ جميع الدراسات السابقة التي عرضنها، تُساعد بحثنا، وتمنحه القوة، في مجموعة من الأمور، هي:

(أ) كانت معالجة الأيديولوجيا عند الروائي عوض، في تلك الدراسات غير موجود أو شبه معدوم.

(ب) عالجت بعض الدراسات شيئاً من أعمال الروائي عوض، وقامت على تحليل تلك النماذج، وستعمل دراستنا على تحليل أعمال أدبية له، لم تدرس من قبل.

---

[1] المسيري،عبد الوهاب: نُشر هذا المقال في أكثر من موقع، آخرها موقع الجزيرة نت، 2018/1/25م.

[2] بلقيز،عبد الأله: مركز دراسات الوحدة العربية، المستقبل العربي، ع33، 2010م.ص:382.

[3] نصر الله،إبراهيم: مقابلة مع فضائية الجزيرة في برنامج "دروب"، 2005/08/20.

(ت) سيكون للتحليل البنائي في تلك الدراسات فائدةٌ مهمة لدراستنا، وسيجعل دراستنا أكثر تخصصا في موضوعها الرئيس.

(ث) ستمدنا الدراسات التي تناولت الأيديولوجية بكثير من المعطيات، وستعيدنا إلى جذور تلك الأيديولوجية التي ظهرت في روايات عوض التي سنعمل على تحليلها.

(ج)ستستفيد هذه الدراسة من النتائج التي توصلت إليها الدراسات، مما يُقلل من التَّكرار في معالجة القضايا المدروسة.

8.1 مصطلحات الدراسة

الأيديولوجيا: لهذا المصطلح أكثر من تعريف، فمنهم من عرَّفه بأنَّه "معتقد أو مذهب فكري سياسي تعتنقه جماعة بشرية في تصورات وأفكار اقتصادية واجتماعية وسياسية وثقافية"[1]، ووصفه الباحث زكي نجيب محمود بالمركب "الفكري الذي يحيط بأبناء المجتمع الواحد، إحاطة تأخذهم من جميع أقطارهم، من سياسة إلى أدب وفن، إلى غير ذلك من أوضاع الحياة، بحيث يبقى ذلك المركب الفكري موحد الكيان، غير قابل للتقسيم، فيؤخذ كله أو يترك كله"[2]

ولعلنا نجد في تعريف مجمع اللغة العربية الضالة المنشودة، والشمول المصطلحي المطلوب، فالأيديولوجيا "هي علم الأفكار، وموضوعه دراسة الأفكار والمعاني وخصائصها، وقوانينها، وعلاقتها بالعلامات التي تعبر عنها، والبحث عن أصولها بوجه خاص"[3].

وذهب المفكر عبد الوهاب المسيري إلى أَنَّ الأيديولوجية "نسقا من المعتقدات يفسر الواقع بعد تبسيطه تبسيطا ضروريا، كما تعني، أيضاً، نسقا يعكس الواقع، وكذا نسقا يفسر بعض جوانب الواقع بعد تبسيطه تبسيطا مخلا، وكذا نسقا يشوه الواقع، بل ونسقا يزيف الواقع للإنسان ويعميه عن رؤية واقعه. ولذا فالأيديولوجية تصلح أحيانا كدليل للسلوك

---

[1] زلط ،أحمد: مؤثرات أيديولوجية في أدب الطفل العبري (مقارنة تأويلية)، علم الفكر، ع4، م35، 2007. ص:44.

[2] محمود،زكي نجيب: الأيديولوجيا ومكانها من الحياة الثقافية، فصول مجلة النقد الأدبي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، م 5 ع4 1985م. ص:27

[3] مجمع اللغة العربي: المعجم الفلسفي، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية،القاهرة، 1983م. ص:29.

الإنساني، ولكنها لا تصلح أحيانا أخرى ومن هنا معارضة "الفكر الأيديولوجي" بالفكر "الموضوعي والعلمي."[1]

المعتقدات في المجتمعات: ويقصد بها أي تصور مجتمعي يربط بين متغيرين ليس بينها رابط منطقي، ولا علمي، مثل معتقد "طنين الأذن"، الذي يُشير بوجو إنسان يتكلم عنك بالخير، أو بالشر، أو معتقد "قلب الحذا وتعديله" اعتقاداً بحدوث مشكلة، وتشيع مثل هذه المعتقدات عند العرب والشعوب الأخرى، منذ زمن بعيد، فهناك معتقدات ريفية، أو بدوية، مرتبطة بالبيئات المختلفة، كرؤية الغزال التي يُظنُّ أنها نذيرٌ للشر، ووقوع السوء، و"الفراشة" التي تؤول بفأل خير، ورؤية "الغراب والبوم" التي تدل على الشؤم، و"الضبع" على أنه يأخذ العقل، أو رؤية "الحمامة" التي تدل على رزق، وخير، ومال [2].

السرد: اصطلحاً: هو "المصطلح العام الذي يشتمل على قص حدث أو أحداث أو خبر أو أخبار سواء أكان ذلك من صميم الحقيقة أم من ابتكار الخيال"[3].

وبذلك يكون السرد أي شيء يسرد قصة، سواء كانت حقيقية أم من نسخ الخيال دون النظر عن وساطتها، سواء كانت باللغة الفصحى أو العامية، شفاهة أو كتابة، إيحاء أو إشارة، أو أي وسيلة تواصلية متعارف عليها؛ لأنَّ "السرد يرتبط بأي نظام لساني أو غير لساني، وتختلف تجلياته باختلاف النظام الذي استعمل فيه"[4] فالسرد عالم واسع جداً، وبذلك يعنس

---

[1] المسيري، عبد الوهاب: كيف نفهم مصطلح الايديولوجيا في سياقنا العربي، مدونات الجزيرة، 25 كانون ثاني،2018م.

[2] الإشقير، عبد الرحمن: معتقدات شعبية في الحياة اليومية، المشراق،جريدة العرب الاقتصادية الدولية ،25 كانون ثاني 2014م.

[3] وهبة،مجدي، وآخرون: معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مكتبة لبنان،بيروت، 1984م. ص:198.

[4] يقين، سعيد: الكلام والخبر مقدمة للسرد العربي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء،المغرب، 1997م. ص:19.

السرد: "الكيفية التي تروى بها الرواية أو هو عرض موجه بوساطة اللغة المكتوبة لمجموعة من الحوادث والشخصيات"[1].

[1] الخشاب،وليد: دراسات في تعدي النص،المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 1994م. ص:76.

الفصل الثاني: بين يدي الراوي والروايات

المطلب الأول: التعريف بالكاتب احمد رفيق عوض.

المطلب الثاني : التعريف بالروايات.

المطلب الأول: التعريف بالكاتب أحمد رفيق عوض

حياة أحمد رفيق عوض

يُعدُّ أحمد رفيق عوض، واحداً من أعمق الروائيين تصويرا للجرح الفلسطيني، وهو الفلسطيني المولود في قرية يعبد قضاء جنين، عام(1960)، لأبوين متواضعين، كان والده من قرية كفر قرع (القرية الواقعة في المثلث الفلسطيني) عام(1948)، وكان يعمل مزارعا ويعيش في بيت متواضع من الطين، ثم انتقل أبوه عام 1948م ليعمل بائعا متجولا للبضائع المهربة في أراضي (1967)، وقد أظهر ذلك في روايته العذراء والقرية (أولى الروايات التي كتبها)؛ حيث ذكر أن المهّرب كان ذا شخصية أساسية في تلك الرواية[1].

ولد أحمد رفيق عوض في ظل وضع اقتصادي صعب، وذلك لم يمنعه من دعم القضية والوطن والدفاع عن المسحوقين، فأصبح كاتبا روائيا، وعمل إذاعياً في صوت فلسطين، وصدر له أكثر من 13 عملاً أدبيا وصحفيا، ويعمل في دائرة الإعلام بجامعة القدس محاضرا متفرغا، ثم حصل على شهادة البكالوريوس في الأحياء، في جامعة اليرموك عام(1982)، ودبلوم في علم النفس، ثم الدبلوم العالي في الإعلام عام (1997)، والماجستير في الدراسات الإقليمية من جامعة القدس عام (2006)، والدكتوراه في العلوم السياسية في جامعة القاهرة عام(2010)، وتنقل في العديد من الوظائف منها: مدرس في الحكومة في لواء جنين، ثم مديرا لأخبار صوت فلسطين، ورئيسا للتحرير في المركز التدريبي التابع لهيئة الإذاعة والتلفزيون، إضافة إلى عضويته في بيت الشعر الفلسطيني،

[1] عوض، أحمد رفيق: الرواية تشتبك مع الواقع وتعلمنا حب الجمال والدنيا والعالم، سوا الإخبارية، 10 حزيران،2020م.

ورئيس تحرير المجلة الطبية الفلسطينية، ومستشار الفضائية الفلسطينية في رام الله، ومحاضر في قسم الإعلام، ومحاضر متفرغ في قسم الإعلام بجامعة بيرزيت، وناقدا في الكثير من الدوريات الفلسطينية والعربية[1].

تدرج عوض في مشواره الأدبي الإبداعي منذ نعومة أظافره، فشرع في كتابة القصص ثم تنقل بين الفنون الأدبية، من الرواية، والقصة، والمسرح، وسخر أدبه للدفاع عن الوطن، والتاريخ الفلسطيني، فهو ممن أغنوا الواقع الفلسطيني بالثقافة، والإبداع، ونتيجة لجهوده الأدبية حصل عوض على عدّة جوائز إبداعية، كجائزة الملك عبد الله الثاني، وغيرها، وقد ترجمت له بعض الروايات إلى لغات أجنبية، وقد لاقت مؤلفاته إعجاب كثير من الباحثين، والمبدعين الذين كتبوا في إبداعه ورواياته، مثل: علي خواجا، الذي كتب جوائز الفحم، وعين السارد، ثم (المختلف) للمتوكل طه، والكثير من رسائل الماجستير، مثل رسالة قطوسة بعنوان "توظيف التاريخ في روايات أحمد رفيق عوض"، ثم رسالة بعنوان "تقنيات السرد في الخطاب العربي الفلسطيني"، ثم دراسة ناصر بعنوان "المكان في روايات أحمد رفيق عوض"[2].

ومما يلاحظ على رواياته أنها تتسم بالواقعية، والتأصيل التاريخي، وإسقاطه على العصر الحاضر؛ لأنه يمتلك رؤية عربية عميقة، استمد قوتها من الواقع الفلسطيني المعاش،

---

[1] قطوسة، حسن ماجد : توظيف التاريخ في روايات أحمد رفيق عوض، رسالة ماجستير، جامعة القدس، فلسطين، 2013م.

[2] الخليلي، علي: رواية بلاد البحر لأحمد رفيق عوض، جريدة الأيام، 20 تموز، 2006م.

وعمق الحياة، في ظل الظروف المفروضة على الشعب الفلسطيني، بعيدا عن تزييف الحقائق، فقد كانت رواياته كريشة بيد رسام[1].

ماذا قيل عنه؟

في أثناء مقابلة شخصية أجرتها الباحثة معه، أكد في رده على سؤال الباحثة بالتعريف عن نفسه بأنه عربي، فلسطيني، مسلم، وأن هذه المعلومات تهمّه للتحديد الثقافي والجغرافي له، كونه لا يزال تحت الاحتلال، يرى عوض أنّ له انتماءً عربياً خالصاً، وأن التخلف، أو الترهل العربي يسيء له، ويشعر بإهانة شخصية عندما يهان العرب، ويشعر بالعمق كونه عربياً، ولكونه روائيا يعمق هذا الإحساس العربي في الدوائر الثلاث: العربي، الفلسطيني، المسلم، خصوصا عند كتابته نصاً روائياً يعمق هذا الإحساس في العروبة والوطنية، والإحساس بفلسطينيته، وإسلاميته، ويستطيع أن يوفق بين هذه المصطلحات الثلاثة من خلال النص الروائي، وهي التي تعطيه القوة والصعود إلى القمة ومواجهة الآخر، وتزيده فخراً بهذه المصطلحات الثلاث.

أما عن توظيف الأيديولوجيا في رواياته، فيؤكد أن أي نص روائي، يجب أن يحتوي على الأيديولوجيا؛ لأنه بحاجة إلى مرجعيات يكتب عنها، فلا نص دونما مرجعية، فالروائي كالفنان، والسياسي، أو المهندس؛ لأن هناك تناغما فيما بينهم كونهم ينطقون من رؤية قد

[1] طه،المتوكل: المختلف، دراسات في عالم أحمد رفيق عوض الروائي والمسرحي،ص: 62.

تكون متفككة، أو متجانسة، أو منسجمة، أو لها جماهير، فأي نص موجود يجب أن يتكئ على مرجعيات فكرية، ودينية، تجعل له معنى[1].

وعند سؤاله عن المكان في رواياته –يقول– إنه بالغ الأهمية وهو خاضع لسيطرة المحتل، ومختطف، ويدعي المحتل بسرمدية المكان له، والسيطرة عليه وامتلاكه، وتغريبه بالنسبة لنا، والمكان عنده يجب أن يستعاد من جديد، ويتم تحويله إلى قلب نابض، والاهتمام به عن طريق اهتمامنا بالأرض التي تمثلنا، فالحديث عن يافا، وحيفا، والناصرة، والقدس، مهم جدا لذكر الوطن في رواياته، فالمكان لنا وإدخال الأيديولوجيا هنا مهم من ناحية الدين، فالمكان دينيا ليس للمحتل، باعتبار فلسطين هي (طابو) إلهي أبدي للفلسطينيين؛ لأن هناك علاقة دينية مهمة مرتبطة، بيننا وبين المكان، فعلاقتنا بالمكان علاقة بأخلاقنا، وامتلاكنا للمكان هو قدرتنا على ارتباطنا بديننا وأخلاقنا، وامتلاكنا للمكان أيضا لن يكون إلا عندما نكون صالحين، {**أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ**}[الأنبياء: 105]، والصلاح هي الأيديولوجيا الدينية التي يتملّكها الفلسطيني، والصلاح أيضا يكون مع النفس، والمجتمع، والطبيعة، ومع الآخرين، ونحن نفقد هذا المكان؛ لأننا نفقد الصلاح مع أنفسنا بالمعنى الديني، والحضاري، والإنساني، والمكان موجود بداخله كما يقول.

أما عن البطولة، فهي تعجبه، ويحاول أن يفسر كيفية وجودها، وعن الظروف التي تنشِئ البطل، ومتى ينشأ المنقذ للأجيال، والتاريخ، والرجل الذي يتصف بصفات يتفرد بها عن غيره، ومن خلال كتابته يظهر البطل كمخلص للتاريخ، والأمة من خلال الأيديولوجيا،

[1] مقابلة مع الكاتب أحمد رفيق عوض، رام الله، تاريخ،29-7-2021.

ويبين من خلالها علاقة البطل والجمهور، ومتى يحتاج الجمهور إلى البطل، وكيف ينتجه، كما في رواية (قدرون)، و(عكا والملوك)، هل على البطل أن يقطف النتائج؟ أم يسعى بالتغيير، والبطولة هي إيمان الفرد بقدرته، وهل الفرد هو الأساس أم الجمهور ؟

تكلم عوض في التاريخ الإسلامي عن عكا وحصارها، وعن القرامطة، والكعبة، ورحلة روحية لصوفي لراهب يرى بلاده تنتهك من قبل الصليبيين، وعلى أي مقولة استند الصليبيون لينتهكوا البلاد العربية، وهل المستعمر هو هو أم تغير؟ هل نحن كما كنا أم تغيرنا؟ هل لا زال وجودنا يمثل تحديا أمام الاحتلال؟ وكيف يمكن أن نرد هذا المحتل والمشروع الصهيوني؟ كما رددنا المشروع الصليبي الاستيطاني، وهل لدينا ثقافة الرد على الآخر(العدو)؟ وهذا نوع من أنواع الأيديولوجيا، منذ زمن بعيد، فالثقافة العربية الإسلامية هي ثقافة ردود على النقيض المختلف، منذ القرن السابع الميلادي[1].

إنّ الأيديولوجيا في رواياته تنبع من رؤية عربية، إسلامية، قومية، دينية؛ لأننا مظلومون، ويريد أن يرجع إلى جذوره العربية، والقومية، وهو ما أراد نشره بين الأجيال، التي هي جذور موحدة في العالم العربي، تختلف عمّا هي عليه الآن، و يُعدُّ هذا البحث نقاط القوة من داخلنا كعرب، وهذا ما هو موجود في الروايات، وأهم مقولة أيديولوجية عنده هي القومية، والبعد عن العنصرية، والتعصب، والقومية المنفتحة، والمشتبكة مع الآخر، وعلى القاعدة الدينية التي تتسع لكل البشر، التي تدعو إلى التسامح، والتقوى، وتنبذ العنصرية (**إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ**)[الحجرات: 13]، فلا بالطول، ولا بالقصر، ولا باللون، إنما هي

[1] مقابلة مع الكاتب أحمد رفيق عوض، رام الله، تاريخ ،29-7-2021.

ثقافة تحترم الكل، بعيدة عن التعصب، والانتهاكات، والاحتقار، فهذا ما يهمه في كتاباته، لأنه هو كذلك.

لقد تناولت روايات أحمد رفيق عوض الأوضاع الاجتماعية الفلسطينية في منتصف القرن الماضي، التي كان نسيجها الاجتماعي مفككا إلى حد ما، وكان الفساد مستشرياً فيه، وأن حرب عام 1967 كان سببها سقوط النظام الاجتماعي العربي، الذي انتهى بسقوط فلسطين والقدس في قبضة الاحتلال الإسرائيلي، وفساد الأنظمة العربية، كان من فساد المجتمع العربي، فهو من أنتجه، وهذا ما اتضح في رواية (العذراء والقرية)، وقد تكلم عوض عن هذا بإسهاب دون تحفظ، لهذا اكتسبت رواياته القيمة الإبداعية في مرحلة من مراحل النضال الفلسطيني[1].

تناولت هذه الرواية الفترة الأعوام (1948-1967)، وتميزت بمعاناة الشعب الفلسطيني وفقده جزءا من أرضه، وكينونته، وقد اعتمد فيها على التاريخ الشفهي؛ لإيضاح الرواية حول الأحداث التي مرت بها فلسطين، ثم تحدث في رواية القرمطي، عن الموروث الديني عند المسلمين، وعند فئة من الأقليات الخارجة عن السُنَّة، وهم (الشيعة)، في بداية سقوط الدولة العباسية، فصَّور القرامطة، وما عاثوه من فساد، وتناول فيها التفكك في المجتمع العربي الإسلامي، ليعطي صورة عن هذه الفئة من الزمن الماضي وربطه بالحاضر؛ لما فيه من مجموعات تطالب بالخلافة، أو حل النظام، أو غير ذلك، متخذين العنف، والتدمير، للكيان الإسلامي، وقيمه، ولكن لا يوجد للمثقف أي دور، أو أي قيمة في

[1] شحروري، صبحي: مقاربات نقدية في روايات أحمد رفيق عوض، دار الماجد، رام الله،2004م.

مثل هذه الاحتجاجات كما في شخصية (الصولي)، الذي مثل الطبقة المثقفة متردية الحال، قليلة الحيلة، واستطاع من خلال هذه الرواية أن يعيد أحداثاً ركزت على الفساد، والانهيار، والهزيمة، كما هو اليوم، وأنَّ ربطه بالماضي مشابهٌ لهذه الأحداث.

وجدت الأيديولوجيا يشكل لافت للنظر في روايات (عكا والملوك)، وإن كانت مبنية على رواية (القرمطي)، وحصار عكا، ومحاولته إهانة العربي المسلم من قبل أكثر من ثلاثين ملكاً وأميراً، أوروبياً، بحجة استرداد قبر المسيح، فشكل عوض المعاني من المادة التاريخية بما يتناسب ورؤيته المستقبلية، خصوصا عندما اختار شخصية صلاح الدين الذي رمز إلى النصر، واسترداد الحقوق عن طريق القوة، ومثل انكسار صلاح الدين أمام هذه الجيوش في حصار عكا لاستشراف المستقبل، الذي زاد من قوة روايته التي ملئت بالرموز، والدلالات.

استخدم الروائي المنامة في روايته (بلاد البحر)، كطريقة تراثية كان يستخدمها الأجداد، عند وضعية النوم، ويكون كلامه بلا عقل، أو منطق، ويتحدث عن أشياء ليس مسؤولا عنها لأن النبي (عليه الصلاة والسلام) قال: "رُفِع القلمُ عنْ ثلاثةٍ عنِ الصغيرِ حتى يبلُغَ وعَنِ النائمِ حتى يستيقظَ وعنِ المصابِ حتى يُكشفَ عنهُ"[1]، وقد استخدمت في التراث العربي القديم في قصص (ألف ليلة وليلة)، وذكر الراوي لحظتين مهمتين عندما كتب ابن القيساراني في منامته لحظة وقوع بلاد الشام، تحت احتلال الصليبين، وكتابة الوهراني منامته عندما كان الفاطميون، يهربون أمام الأيوبيين، وقد وظف الكاتب ذلك ليعري وجوه الغرب الذين

[1] الترمذي ،محمد بن عيسى: سنن الترمذي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، الرسالة العالمية، بيروت، 2009. 251/3.

يتشدقون بالديموقراطية، ويتخلون عنها في فلسطين، وهم يرتكبون أفظع الجرائم، ليظهر أيضا أن بلادنا يملؤها الاضطراب، وعدم الاستقرار، فالكاتب لم يتكئ على موروث جاهز، وإنما أعاد تشكيل هذا الاشتباك بين الغرب والمسلمين، وتجسيده اليوم على أرض الواقع[1].

ترى الباحثة أن عوض ، كان ذا ثقافة عالية، وظهر ذلك من خلال المؤلفات العديدة التي تركها، إضافةً إلى الشهادات العلمية العالية التي حصل عليها، وهذا ما أهله أن يكون قادرا على الإلمام بالكتابة الواقعية عن القضية الفلسطينية، وما واجهتها من مواقف مصيرية؛ مثل النكبة، أو النكسة، وصولاً إلى، أوسلو.

المطلب الثاني: التعريف بالروايات

بدايات الرواية الفلسطينية

تتضمن الرواية الكثير من الحكايات الشعبية، أو القصص، أو المعتقدات، أو الأساطير، التي تلعب دورا كبيرا في نسيج الرواية؛ لتعبر عن رؤية معينة، فاستوعبت كل هذه المضامين، وفي طياتها إعادة بناء حقبة من الزمن، أو معتقد اجتماعي، أو أسطوري، التي كانت جزءا من عادات وتقاليد الناس في الزمن القديم، فمن الصعب أن يفصل الروائي بين هذه المعتقدات (الأيديولوجيا)، وطبيعة المجتمع واعتقاداته، وهناك بعض ملامح اختلاط الرواية العربية بالقصة، أو بالمقامة كـ(ليالي سطيح) لحافظ إبراهيم، وحديث عيسى بن هشام مويلحي، وفي عهدهم كانت الرواية تفتقر إلى الكثير من العناصر الفنية، حتى مجيء البستاني (1848 –1884)، وكتب (بدور، وزنوبيا، والهيام في جنان الشام، والفاتنة)،

[1] قطوسة، حسن ماجد : توظيف التاريخ في روايات أحمد رفيق عوض، رسالة ماجستير، جامعة القدس، فلسطين، 2013.

وغيرها من الروايات التي كانت تقليدا للرواية الغربية، ولم تكن متفقة مع البناء الفني للرواية، حتى مع الموضوعات التي كتب فيها البستاني، وكانت أقرب للحب، والرومانسية، أكثر منها للمجتمع وهمومه، لذلك كانت سريعة التلاشي، ولم يكتب لها النجاح[1].

ارتبطت البدايات الناجحة لكتابة الرواية العربية، عندما كانت تقوم على علاقة حب بين بطل وبطلة، وتبنى على أحداث القصة الغرامية، وقد كان لها آذن صاغية لموافقتها الذوق الشعبي السائد عند العرب، وخصوصا في الأدب الشعبي، وربما كانت هذه القصص إحدى وسائل الترغيب، التي يقوم بها الروائي لإشهاره، وإشهار رواياته، كما فعل جورجي زيدان في رواياته التاريخية، الذي جعل الترغيب أحد الوسائل لجذب القارئ العربي، وذلك للاستمتاع بالأمجاد العربية الإسلامية، والتعرف إلى الصراع السياسي، والمؤامرات والدسائس، التي تعرضت لها فترات الحكم العربية أيام الخلافة الإسلامية، ثم بدأ الشكل الفني للرواية بالظهور في منتصف القرن الماضي؛ بدافع الإبداع، والشهرة، والثقافة، فأدى ذلك إلى الاختلاف في نوعية الروايات والرؤى، وأصبحت الرواية العربية كاملة النضوج، بعد ظهور نجيب محفوظ، وعادل كامل، والعريان، والجارم، وكانوا متفاوتين في إسهاماتهم تجاه الرواية العربية، فمنهم من أسهم في الرواية التاريخية، وغيرها من مواجهة الحياة، والبحث عن حلول للأوضاع الاجتماعية، والاقتصادية؛[2] فكتب نجيب محفوظ عن الواقع الاجتماعي والسياسي في مصر رواية (عبث الأقدار)، التي انتقدت سياسة الاستبداد في مصر، ورواية (كفاح

[1] قطوسة، حسن ماجد : توظيف التاريخ في روايات أحمد رفيق عوض، رسالة ماجستير، جامعة القدس، فلسطين، 2013.
[2] شفيع ، السيد: اتجاهات الرواية المصرية، منذ الحرب العالمية الثانية الى سنة 1967م. ص: 21-23.

طيبة)، التي مثلت المعارك والرحلات للشعب المصري، كان يهدف نجيب محفوظ من وراء ذلك، الربط بين الماضي من خلال رؤية فنية مع الحاضر، وكتب العريان عن الحالة الاجتماعية في مصر، عندما صور التاريخ المصري في رواية(قطر الندى، وشجرة الدر)، واستطاع أن يربط الماضي بالحاضر للتاريخ المصري، ويزيل كل الشوائب والزيادات عن التاريخ المصري الإسلامي، الذي كان متعمدا من المستشرقين، فكأنه يريد أن يعيد كتابة التاريخ من جديد بأسلوب روائي منظم[1].

ارتباط الأيديولوجيا بالرواية

ترتبط الرواية ارتباطا وثيقا بمفهوم الأيديولوجيا؛ إذ إنَّ النص الروائي لا يمثل انعكاسا تاما للواقع، بل هو شكل من أشكال الانتقاء الذي يعبر عن الواقع، وقد وضح (ماشيري)، أن الأدب هو شكل من أشكال الأيديولوجيا التي تظهر على مستويات اللغة، والخطابية، وذلك من خلال إظهار قيمة النص، وقدرته على تشغيل التراكيب اللغوية واستدعائها، التي تتضمن الأيديولوجيا؛ حيث اعتبر أن النص هو الحوار والصراع، وهما الشرطان الأساسيان لتشكيل الأيديولوجيا [2].

وقد قسم الأحمداني المستوى الأيديولوجي للرواية إلى مستويين:

الأول: أيديولوجيا الأبطال، وهو ما يعبر عنه الأبطال من مواقف من خلال الحوارات، وتطور الشخصية.

---

[1] قطوسة، حسن ماجد : توظيف التاريخ في روايات أحمد رفيق عوض، رسالة ماجستير، جامعة القدس، فلسطين، 2013م.

[2] نقلاً عن: الاحمداني، حميد: النقد الروائي والايدولوجيا، المركز الثقافي العربي،بيروت،1990.ص:25-26.

الثاني: الأيديولوجيا من الرواية ذاتها، وهو ما يعبر عن موقف الكاتب من الرواية[1].

وهناك تيار نقدي يرى أن أيديولوجيا الكاتب تكون موجودة ضمن الأصوات المتعددة المتعارضة من بداية الرواية، وعلى الرغم من أنها تبدو متعادلة، إلا أن آراء الكاتب قد تكشف عن مشروعه الأيديولوجي عند الانتهاء من القراءة، ومن هنا، فإنَّ الأيديولوجيا تكون متصلة بالعادة، بصراع الأبطال بينما يبقى العلم تعبيرا عن تصورات الكاتب، من خلال تلك الأيديولوجيات المتصارعة .

يهدف البحث عن الأيديولوجيا في الرواية إلى الكشف عن القيم التي تعبر عن نصوص اجتماعية ثقافية، ليست بمعزل عن المؤثرات الخارجية؛ وذلك من أجل الكشف عن العلاقات الثابتة بين العمل الإبداعي والفكر الاجتماعي.

ويظل السؤال الأهم في ذلك:

كيف قدمت الأيديولوجيا الأفكار؟ وما الأدوات التي اعتمدت عليها في تقديمها؟

يقول (ريابوف) عن علاقة الفن بالأيديولوجيا: "لا بد من الاعتراف بأن التقويم الموضوعي لأعمال الأدباء، والفنانين من الزاوية الأيديولوجية، أو السياسية المحض يضر إطلاقا بالناحية الجمالية للعمل الإبداعي، ويدخله في قوالب جامدة متحجرة"[2].

علاقة الرواية الفلسطينية بالأيدلوجيا

إن التأريخ للرواية الفلسطينية، يجعل الباحثة غير قادرة على الجزم بأن الرواية الفلسطينية ولدت في الإطار الاستعماري؛ حيث ولدت جنبا إلى جنب مع الهوية الفلسطينية،

---

[1] المصدر السابق ص35.

[2].ريابوف: الفن والايديولوجيا، ترجمة:خلف الجراد، دار الحوار للنشر والتوزيع اللاذقية،1984. ص12.

وقد اختلطت أيديولوجيا التحرر والموقف الفلسطيني في النص الأدبي بشكل كبير، لا سيما في تجربة غسان كنفاني، الذي أبدى التزاما واضحا ليس في الموقف الفلسطيني وحسب، بل إن ذلك تخطى هذا الحد، ليصل إلى تبني الفكر الماركسي، الذي هو أيديولوجيا الجبهة الشعبية، التي يُعدُّ غسان كنفاني واحدا من أبرز مؤسسيها والمنظرين لها، وقد أشار عادل الأسطة في مقاله: "العشق المر: الأدب والأيديولوجيا"، إلى أن غسان كنفاني يُعدُّ من أكثر الروائيين الفلسطينيين في الكشف عن الموقف الأيديولوجي في رواياته[1] .

وقد سار على درب كنفاني في روائيون فلسطينيون، مثل: إميل حبيبي، ورشاد أبو شاور، وفاروق وادي، إلا أن فاروق وادي اختلف معهما في هذا الإطار، إذ رأى أن الأيديولوجيا لم تكن واضحة في الرواية الفلسطينية في بدايتها، ومعبرة عن موقف أخلاقي، بل هي تعبير عن حالة من توصيف الواقع، أو الانحياز إلى الموقف البرجوازي، وتمثل رواية إسحاق موسى الحسيني(مذكرات دجاجة) التي صدرت بالقاهرة عام (1943) نموذجا واضحا لذلك، حتى جاء الموقف الماركسي ممثلا بغسان كنفإنّي، الذي لم يكتف بالموقف الأدبي فحسب، بل درس الأدب الصهيوني من الناحية الأيديولوجية أيضا[2].

وترى الباحثة أن عوض، مثل غيره من الأدباء العرب، أو العالميين، قام بتوظيف الأيديولوجيا في الروايات كلها، وكان توظيفه لها الأنسب للسرد، وهذا الأمر كسا الروايات حلة جميلة، تمكن القراء من الرجوع إليها لمعرفة بعض المعتقدات الشعبية الفلسطينية.

---

[1]. الاسطة، عادل: العشق المر، الادب والايدلوجيا، دفاتر الأيام ، بتاريخ 22-4-2018.

[2]. وادي، فاروق: مدخل تاريخي للرواية الفلسطينية ، مؤسسة فلسطين للثقافة ، بتاريخ 18-2-2007.

نظرة على روايات عوض

يقول د. علي الخواجا، الباحث في روايات عوض، وفي مقدمة أحد مؤلفاته: أن أحمد رفيق عوض، يملك طاقة تعبيرية هائجة، متعجلة، مقتدرة على الرؤية، ومتمالكة لمقومات بقائها وأدائها، فما انفكت رواياته تحمل في داخلها محفزات، تحث أجهزة مناعاتنا على اليقظة، والحذر، والمواجهة.

كانت كتاباته محملة بجنين يولد، ومولود يموت، يعبر قطاره غربة الغربة؛ إذ تذوب حدود الحدود، وحيث الرواية عند أحمد رفيق عوض انصهار الاجتماع، والإنسان، والنفس، والتاريخ، والجغرافيا، واللغة في بوتقة الإيحاء والذاكرة.

كتب الكاتب رفيق عوض سبع روايات منذ انطلاقته، وهي: العذراء والقرية 1992، وقدرون 1996، ومقامات العشاق والتجار 1997، وآخر القرن 1999، والقرمطي 2001، وعكا والملوك 2003، وبلاد البحر 2006[1]

هذا ويمتلك الكاتب أحمد عوض رؤية فنية أدبية عميقة، استمدت قوتها من الواقع الفلسطيني المعاش، وصميم الحياة اليومية التي نعيشها، في ظل الظروف التي فرضت علينا، فكان دائم البحث، من خلال الكتابات، عن الحقيقة والإبداع، وبعيدا عن تزييف الواقع، وكان حاملا بيده ريشة ترسم وجه الأرض ووجه المرأة، وعالما فلسطينيا ينبض بفكر، وفن، وثقافة، تنبع من رحم الأرض، ومن الزيت، والزيتون، ومنها إحدى رواياته التي كانت

[1] عوض ،أحمد رفيق: موقع الكتروني، عوض أحمد، الهولوكوست، موقع كتاب، حياة أ،2018.

بعنوان: (العذراء والقرية)؛ حيث تطرق فيها إلى حقيقة الوضع المعاش بدون تجميل، ومال إلى التاريخ، وكتب عنه بعمق في رواياته الفلسطينية البحتة.

أهم مؤلفاته:

البحث عن التفاح، دار اللواء، عمان، 1981

العذراء و القرية، دار الرواد، دمشق،2010 طبعة ثالثة

حوار مع إسرائيلي، دار الكاتب، رام الله، 1993

قدرون، اتحاد الكتاب الفلسطينيين، القدس،1995

مقأمات العشاق و التجار، فلسطين للنشر والتوزيع، رام الله، 2007، طبعة ثانية

آخر القرن، اتحاد الكتاب الفلسطينيين، القدس،1999

القرمطي، دار الرعاة، رام الله، 2011،طبعة رابعة

عكا و الملوك، اتحاد الكتاب العربي، دمشق،2005، طبعة ثانية

بلاد البحر، الأهلية للتوزيع و النشر، عمان، 2010، طبعة ثالثة

مسرحية تشرشل، دار الماجد، رام الله، 2008

مسرحية الأمريكي، اتحاد الكتاب العربي، دمشق،2010، طبعة ثانية

لغة الخطاب الإسرائيلي، المجلس الأعلى للتربية و الثقافة، رام الله،2006، طبعة ثانية

دعامة عرش الرّب، الأهلية للتوزيع و النشر، عمَّان2011 [1]

[1] كتارا: جوائز كتارا للرواية العربية، سرديات مجلة كتارا الدولية،2015م .

عرض الروايات

1-العذراء والقرية[1]

تتحدث هذه الرواية عن فترة الخمسينيات، والستينيات في حياة المجتمع الفلسطيني، ورصد فيها الأحوال والأجواء الاقتصادية، والسياسية، والاجتماعية، من خلال تخيله قرية الخلجان غرب يعبد، وينهي أحداث الرواية عند نكسة عام (1967) وقد تناولت مرحلة الإقطاع والعشائرية خلال فترة الأربعينيات في المجتمع الفلسطيني، التي قادت إلى النكبة ثم هزيمة 1967؛ حيث وجودت مكونات سياسية واجتماعية فاسدة، كانت سببا وراء هذه الهزيمة[2].

2-رواية القرمطي[3]

رواية للكاتب أحمد رفيق عوض، صدرت عن بيت المقدس للنشر والتوزيع في رام الله، عام (2001) وتستند هذه الرواية من خلال عنوانها إلى فترة حرجة من التاريخ الإسلامي في القرن الرابع الهجري؛ حيث كان الخليفة لا يمتلك من أمره شيئاً، وتدخل الجواري والنساء في الشئون السياسية والعامة للدولة، وكان العلماء بعيدين عن الواقع، غارقين في الجدل، والفلسفة، بينما كان القرمطي يعيث في البلاد العربية فسادا دون مانع،

[1] صدرت عن اتحاد الكتاب والأدباء الفلسطينيين، 1992.

[2] مجموعة مؤلفين: جوائز الفحم، دراسات في روايات أحمد رفيق عوض، المؤسسة الفلسطينية للإرشاد القومي، رام الله،2003.

[3] صدرت عن بيت المقدس للنشر والتوزيع في رام الله، عام 2001.

أو رادع، وقد تجرأ على نقل الحجر الأسود من مكة إلى البحرين، وينهي الرواية بمقتله عام (320 هـ).

3-رواية عكا والملوك[1]

اتكأ فيها الكاتب على التاريخ، من خلال انتصار المسلمين في معركة حطين، وفتح القدس، وسقوط عكا، بقيادة صلاح الدين الأيوبي، وأجبر الصليبيين على توقيع اتفاقية صلح الرملة، وإعطائهم الساحل الفلسطيني.

4-رواية بلاد البحر[2]

كُتبت هذه الرواية بأسلوب الكتابة (وقت النوم والحلم)، في نسق غير معهود في الرواية العربية، أو الغربية، إلا في التراث العربي القديم، متمثلة في "كليلة ودمنة، وألف ليلة وليلة"، واعتمد في تشكيل نصه الروائي على منادمة الشاعرين الوهراني، وابن القيسراني.

وتعد رواية بلاد البحر، إحدى الروايات التي تقضي على الصمت، والخوف الفلسطيني، وفيها تشويق للقارئ، أو بما تسمى (بالفانتازيا) الروائية، ويشتد التشويق فيها لدى القارئ إلى حد التوتر، وتعطي القارئ حركة مفتوحة للمكان، والزمان في نظم أفكاره ونسجها، وتُعدُّ هذه الرواية التي كتبها مطابقة للواقع من حيث وجود الاحتلال الإسرائيلي، والأمريكي، والهزائم والانهيارات المتتالية، وكما يقال: لا تكتب إلا في أزمنة مماثلة لهذه الهزائم، لهذا السبب

---

[1] صدرت عن بيت المقدس للنشر والتوزيع في رام الله، عام 2003.

2صدرت عن اتحاد الكتاب والأدباء الفلسطينيين، بالتعاون مع دار الماجد للنشر والتوزيع، رام الله، عام2006.

اختار بأن يكتب في النوم، بدلاً من أن يكتب في اليقظة، والسبب ليس مجرد تقنية في الكتابة، وإنما هو تأكيد مقصود من قبل الكاتب، على أن اليقظة تحجب الواقع، والحقائق، بدلا من الوعي المتيقظ الذي ينحدر تحت الخوف، والحيطة، والحذر، في حين يترك النوم للنائم حرية الحلم، والكتابة المطلقة، كغيره من الكتاب السابقين الذين سبقوه في كتابة المنامة.

أهدى المؤلف هذا العمل إلى من أسماهم (المتحضرون... الكذبة)، وهم من لا حضارة لهم سوى الكذب، يقتلون، ويغتصبون، وينهبون، يزعمون أنهم على حق، وهم أصحاب الحضارة الغربية الكاذبة المنافقة التي لا يؤمن بها ولا يصدقها؛ لأن معظم الكوارث جاءت بسببها، بالرغم من امتلاكها مسميات الديمقراطية، وبهذا يريد أن يواجه هؤلاء الكذبة بالإسلام العظيم، بالقداسة؛ لأن حرية الفرد فيه مقدسة (الدم، والعرض، والمال)، فهي حرام، وأن سلطة الله فوق سلطة البشر، وسلطة الحاكم تفوق سلطة البشر، وما بين الحكام والبشر، يوجد أهل الحل، والعقد، ويدعو إلى وجود ديمقراطية إسلامية، دون أن يسميها ديمقراطية إسلام، كأساس الشورى بين الناس، ولكن العروبة اليوم لا تقف في وجه هذا العالم الظالم، كون الحاكم العربي الذي يحكم المسلمين، والعرب لا يتقن اللغة العربية، ولا يعرف عن شعرائها، ولا عن قادتها القدماء، و يريد من الأمة الإسلامية أن تحرر فلسطين من الأمة الإسلامية، إنه يطرح فكرة أنَّ الإسلام هو الحل، ولكنه لا يصرح بذلك علانية، ولكنه يظهر أنه حريص على الوحدة الوطنية، وكانه إسلامي علماني، في الوقت نفسه[1].

[1] الخليلي، علي: رواية بلاد البحر لأحمد رفيق عوض، جريدة الأيام، 20 تموز 2006.

5-رواية قدرون

تناولت هذه الرواية الحالة الفلسطينية إبّان الانتفاضة الأولى، وعرضت للظروف التي عاشها الفلسطينيون آنذاك وبيَّن علاقتهم بأرضهم، ثم تناولت موضوع العمالة (العمّال) في دولة الاحتلال، الذين يعملون في البيوت، والمصانع، والمزارع، وأصبح عندهم تحول في المفاهيم، والأخلاقيات والوطن، الأمر الذي أدى إلى خلخلة البنى الأساسية، وعلاقة أهل القرية بعضهم ببعض[1].

6-رواية مقأمات العشاق والتجار

وهي من أوائل الروايات التي كتبها عوض بعد أوسلو، وقد تناول فيها الفساد، وتحول الإنسان الفلسطيني الثائر، ليصبح تاجرا، وموظفا، وانتقال مركز القرار والرؤيا والانفجارات الاجتماعية، والتحدي للظواهر السلبية، والانحرافات، ونقد للسلطة، كمثقف، نقد المنتمي، وليس الحاقد.

7-رواية أخر القرن

وهي رواية كانت أكثر جرأة في إبراز الخلل في المجتمع الفلسطيني، وصرخة ضد الخراب، والفساد، وغياب الخطاب السياسي الواضح للسلطة، وإظهار تغيير أولويات السلطة

[1]مجموعة مؤلفين: جوائز الفحم، دراسات في روايات أحمد رفيق عوض، المؤسسة الفلسطينية للإرشاد القومي، رام الله،2003م.

اتجاه المجتمع، ويقول: إنه كشف الكثير من المستور بين كراسي السلطة قبل أن يظهرها غيره[1].

وترى الباحثة في روايات أحمد رفيق عوض المختلفة، وسائر مؤلفاته، الكثير من المواضيع اللافتة للانتباه، التي يجدر البحث فيها، مثل: التاريخ، والآخر، والعادات، والتقاليد الفلسطينية، والتناص بأنواعه، وغيرها، إلا أن توظيف الأيديولوجيا في الروايات كان له الجزء الأكبر؛ وظهر بأنواعه المختلفة، مما أخرج الروايات بصبغة تتوافق مع المعتقدات المتعددة للمجتمع الفلسطيني، وجسد طبيعة المجتمع، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإنّ عوض لم يستطع التخلص من هذه الأيديولوجيا في رواياته، حتى لو نادى بعض النقاد بضرورة التخلص منها في الكتابة الأدبية.

[1] شحروري، صبحي: مقاربات نقدية في روايات أحمد رفيق عوض، دار الماجد، رام الله،2004.

الفصل الثالث

الأيديولوجيا في الروايات

المطلب الأول: الأيديولوجيا واستخداماتها

المطلب الثاني: الأيديولوجيا في روايات عوض

المبحث الأول: الأيديولوجيا الدينية

المبحث الثاني: الأيديولوجيا الاجتماعية

المبحث الثالث: الأيديولوجيا السياسية

المبحث الرابع: تداخل الأجناس الأدبية في روايات أحمد رفيق عوض

المبحث الخامس: النصوص المستخدمة في الروايات التي تحمل الأيديوبوجيا بأنواعها

المطلب الرابع: الخاتمة والتوصيات

المطلب الأول: الأيديولوجيا واستخداماتها.

يُعدُّ الأدب من أهم الوسائل التي ينقل فيها الإنسان أفكاره، ومشاعره، وخواطره ومعتقداته، وأفكاره، وهو طريق من أجلِّ الطرق التي تدل على رقيِّ الإنسان، بل بات الأدب سمة مميزة للإنسان على ممر العصور، مهما اختلف مكان تواجده، فكثير من الحضارات كان معيار رقيها الأدب، بل إن هذا الأدب كان سبباً في تخليد تلك الحضارات في ذاكرة الشعوب، وارتبطت الأيديولوجياً ارتباطاً مبكراً بالأدب منذ بداياته المبكرة "دون أن يكون الأدب على وعي متبلور، أو إدراك متعمد بهدف توظيفها في مضمونه الفكري، لهذا اعتمد الإنسان على الأيديولوجيا كنظرية يستوعب من خلالها كل الأعمال الأدبية من الشعر والمسرح، والرواية"[1] وفي ذلك تفسير لمقولة: الأدب مرآة عاكسة للتاريخ، والواقع الإنساني، وبذلك يكون الأديب راسماً للوحة الحياة الاجتماعية، أو معيداً لرسمها وفق رؤيته الخاصة، وبما يقتضيه العصر الذي يحيا فيه ذاك الأديب، وفي ذلك يقول الناقد الألماني بيتر شيترين عن الأيديولوجيا: "هي لا تعني التوحد بل التشابه الأسري بين الأفكار السابقة في إطار عصر من العصور والظواهر التي فيما بينها سمات، وخصائص مشتركة، يمكن وضعها في منظومة واحدة، إذ إن الأفكار تظل مرتبطة بطريقة أو بأخرى بأسلوب عصرها"[2]

وبذلك تكون العلاقة بين الأدب والأيديولوجيا تختلف من فكر إلى آخر؛ فالأديب صاحب الفكر الرأسمالي يختلف في أهدافه وتوجهاته عن صاحب الفكر الماركسي، على سبيل المثال لا الحصر، "فتكون الأيديولوجيا هي البنية الفوقية للنسق الفكري، وللوعي الاجتماعي، تلك

---

[1] راغب،نبيل: موسوعة النظريات الأدبية، ص:80.

[2] المرجع السابق، ص:81.

البنية التي تعبر عن علاقات اجتماعية محددة، وهنا يكون الأدب شكلاً تابعاً لوجود سابق، وهو وجود الأيديولوجيات"[1] كما عبر عن ذلك الناقد لوسيان غولدمان.

تُعد الرواية من أكثر الفنون الأدبية التي تعبر عن المجتمع وهمومه وقضاياه، وكان هذا الجنس الأدبي قد انبثق نوره عند أفول الإقطاعية، من أجل ذلك، نجد لوكاتش يُعرفها قائلاً: "الرواية الشكل الأدبي الأكثر دلالة على المجتمع البرجوازي"[2]، فهو يؤكد هنا على وجود انفصال مطلق بين ماهية الروح وماهية البنى الاجتماعية في نظام رأسمالي؛ أي أن هناك اختلاف بين الأيديولوجيا السائدة. لهذا نجد عدم التوافق بين الأخلاق الأصلية، أخلاق الروح، والأخلاق الزائفة[3].

إن العلاقة بين الرواية والأيديولوجيا هي علاقة تأثر وتأثير، فقد "ارتبطت الرواية بالأيديولوجيا؛ لأنها من أوائل الأجناس الأدبية التي طبقت عليها مفاهيم الأيديولوجيا، واتخذت وسيلة لنشرها وإيضاحها، وظلت كذلك في رحلتها الزمانية والمكانية، من الغرب إلى العالم، ومن نشوء الرواية إلى اليوم، فحوامل الأيديولوجيا في الرواية أكثر من أي نوع أدبي آخر؛ فالزمان والمكان والحبكة والشخصيات، والحوار، والسرد، والاستبطان، والإسقاط، والرمز، فهذه كلها حوامل للأيديولوجيا، ومظهر لها يمكن من خلالها أن يبدي الروائي ما يريد، وأن يخفي ما يريد"[4].

---

[1] عباس،إبراهيم: الرواية المغاربية– تشكيل النص السردي في ضوء البعد الأيديولوجي، ص:48.

[2] فايد،محمد و سحنين، علي : أبحاث في الرواية ونظرية السرد، ص:11.

[3] المرجع السابق نفسه.

[4] عباس،إبراهيم: الرواية المغاربية،ص: 58.

إنَّ ما ذكرناه قبل قليل ينطبق على الروائي بعمومه، والأدب الروائي العربي والفلسطيني، هو من هذا العموم، وعند تحليل أعمال الروائي عوض، نجد أعماله تتعمق في التاريخ – كما يقول؛ لأن التاريخ يعطي القدرة على التحريض، والوعي، وإنتاج الوعي من جديد؛ فالتاريخ هو المرجعية، بسبب تقديس الماضي، وهناك من ينبذه، فالعلاقة جدلية، وكل تجربة تاريخية لها خصوصيتها في وقتها، ونجد هنا أن الروائي عوض كتب الأيديولوجيا الموجودة في المجتمعات، التي كانت ذات إفراز ديني، وتاريخي، واجتماعي، دونما وجود تفسير للظواهر، وسنتناول هذه مختلف الأيديولوجيات التي وظفها في الروايات، مثل أيديولوجيا الدين، والمعتقدات، والسياسة وغيرها.

أولا: الأيديولوجيات

1) مفهوم الأيديولوجيا عند المفكرين

أ) عند تيري ايجلتون

لقد ألقى ايجلتون الضوء على عمليات التحول الفكري من خلال كتابه "النقد والأيديولوجيا"[1] داخل المجتمعات، والكشف عن تطور المراجعات الفكرية بين المجتمعات، ثم عن علاقة الأيديولوجيا بين النقد والأدب، أو الفن بشكل عام، وينقل لنا إيجلتون عن كتاب إنجلز لودفيغ فيورباخ ونهاية الفلسفة الكلاسيكية الألمانية، أن الأيديولوجية ليست طقما من المعتقدات المذهبية، بل إنها تشير إلى الطرائق التي يحيا بها البشر أدوارهم في المجتمع الطبقي، وإلى القيم والأفكار والصور التي تربطهم بوظائفهم الاجتماعية، وتمنعهم من

[1] إيجيلتون،تيري: النقد والأيديولوجية، ترجمة: فخري صالح، المؤسسة العربية للدراسات والنشر،عمان، 1992م.

المعرفة الحقيقية لمجتمعهم ككل"[1]. وبذلك يكون إنجلز، برأي إيجلتون، "يقترح علاقة معقدة بين الأيديولوجيا والفن، علاقة أكثر تعقيداً من تلك التي تربط بين الأيديولوجية بالقانون أو النظرية السياسية؛ لأن الحقلين الأخيرين يجسدان بصورة شفافة اهتمامات الطبقة الحاكمة وانشغالاتها"[2].

وعند البحث عن العلاقة التي تربط بين الفن والأيديولوجية، ما طبيعتها؟ وكيف تقوم؟ وهل يعكس الفن إيديولوجية ويعرضها في شكل فني أم أن الفن يكشف الأيديولوجية، ويميط اللثام عنها، ويعطيها شكلا وبنية؟

يقول **إيجلتون:** إن هناك رأيين متعارضين، هما[3]:

الرأيُ الأول: يرى في الأدب، والفن بشكل عام، مجرد أيديولوجية أخذت شكلا فنيا ثابتا، مما يجعل الأعمال الأدبية جميعها سجينة الوعي الزائف، وهي غير قادرة على تجاوز حدود الأيديولوجية للوصول إلى أعتاب الحقيقة، ويُسمي إيجلتون النقد الماركسي الذي يتبنى هذا الموقف نقداً (ماركسياً مبتذلاً)، يرى في الأعمال الأدبية مجرد انعكاسات للأيديولوجيات السائدة، وبالتالي، لا يقدر على تفسير: كيف يمكن للأدب أن يتحدى الافتراضات الأيديولوجية لعصره.

---

[1] إيجلتون،تيري: النقد والأيديولوجية، مقدمة المترجم، ص:10.

[2] المرجع السابق، ص:10.

[3] المرجع السابق، ص:11. بتصرف.

ويتمثل **الرأي الثاني** في (أرنست فيشر)، الذي يرى في كتابه "الفن ضد الأيديولوجية" أن الفن الأصيل يقوم دائماً بتصعيد حدود الأَيديولوجية لعصره مانِحاً إيانا تبصراً بوقائع تعمل الأيديولوجية على إخفائها عن ناظرينا.

يرى إيجلتون أن كلا المنظورين يبدوان مُبسطين كثيراً، ويجد في الرأي الذي رفعه الفيلسوف الفرنسي لوي ألتوسير القائل: (إنَّ الفن لا يمكن اختزاله إلى ما هو مجرد أيديولوجية؛ إن له علاقة بالأيديولوجية ولكنه ليس مجرد انعكاس لها) – يجد أنَّ الأيديولوجية تدلنا على الطرائق الخيالية التي يختبر الناس بوساطتها العالم الواقعي[1].

ولإيجلتون رأي خاص في العلاقة بين التاريخ والنص؛ إذ إن التاريخ، برأيه، يدخل النص بوصفه أيديولوجية، والتاريخ الواقعي حاضر في النص، ولكن بصورة مُقَنَّعَة، في صورة غياب مزدوج. إن النَّص الأدبي لا يتخذ التاريخ هدفاً مباشراً له؛ لأنه لا يُحيل إلى أوضاع بعينها، بل إلى تشكيلات أيديولوجية أنتجتها أوضاع بعينها، ومن ثمَّ فهمٌ يحيل بصورة غير مباشرة بالتاريخ[2]. ومن هذه العلاقة، يأتينا إيجلتون بتعريف للنص، "فهو نسيج من المعاني والإدراكات والاستجابات الملازمة لهفي إنتاجه التخييلي للواقع"[3].

يرى ايجلتون، أيضا، أنَّ هناك مشكلة تواجه النصوص في وجود الأيديولوجيا والتاريخ معا، فهي علاقة معقدة، فهل يمكن للتاريخ أن يدخل إلى النص ويسكنه؟ فاتصال النص بالتاريخ فيه علاقة مباشرة، والتعامل معه تعاملا على أساس الخيال، وليس استنادا

---

[1] المرجع السابق، ص:11. بتصرف.

[2] المرجع السابق، ص:16. بتصرف.

[3] المرجع السابق، ص:16.

إلى قوانين، فإذا قرأنا تاريخا واقعيا من غير خيال، فإنّنا نقرأ في هذ الحالة خطابا تاريخيا، وليس فنّاً أدبيا؛ لذا يستنتج ايجلتون أن التاريخ يدخل في النص بوصفه أيديولوجيا، ولكن بصورة مقنعة، فالنص الأدبي يحتمل التشكيلات الأدبية، والتاريخ واحد منها، أما النّصان الأدبي والفني، فهما ليسا أديولوجيا كاملة، بل هما ضرورة أيديولوجية مبنية على التخيل، فلا يعد الفن جزءا من الأيديولوجيا، وليس الفن أيضا معرفة علمية كاملة، فالفن هو شيء بين شيئين، وليس أيديولوجيا بشكل كامل، فهو يجعلنا نحس وندرك، ونشعر بالأيديولوجيا من الداخل، وبالتالي فإنّ أي نص أدبي، أو فني، يحدد وجوده وعلاقته بالأيديولوجيا عن طريق الشكل، وليس عن طريق الشخصية الأيديولوجية، فالأيديولوجيا هي ليست حقيقة النصوص؛ حيث إن هناك أشياء عدة تدخل في تركيب النص، خصوصا إذا فكك، فالنص يعمل دائما على وجود علاقة، أو انعكاس بين الأيديولوجيا والتاريخ والواقع، في الحياة المعيشية، والأدب فيه يكون نقيض العلم؛ لأنه يعمل على موائمة الواقع كما في أشكال الأيديولوجيا[1].

ويذكر إيجلتون، أيضاً، في كتابه، أن وجود "الأيديولوجية ليست مجرد انعكاس بسيط لأفكار الطبقة الحاكمة؛ إنها على النقيض من ذلك، ظاهرة معقدة دوما قد تدمج رؤيات للعالم متصارعة ومتناقضة. ولنفهم الأيديولوجية ينبغي أن نحلل العلاقات الدقيقة التي تربط الطبقات المختلفة في المجتمع؛ وهذا يعني أن نحدد، بالضبط، علاقة هذه الطبقات بصيغة الانتاج"[2] من أجل ذلك، وتصبح مهمة نقاد الأدب الكشفَ عن وجود العلاقة بين الأدب والأيديولوجيا، ويحتم هذا على الناقد أن يعرض النص كما هو، دونما معرفة صانع النص

---

[1] إيجلتون،تيري: النقد والأيديولوجية، مقدمة المترجم، ص:15-17 بتصرف.

[2] Marocism and Literary. University of California press. 1976. Pp 6-7.

نفسه، فالوصول إلى معرفة النص من خلال الناقد، يمكن أن يكون قد تخلص من التاريخ الأيديولوجي القبلي، ويكون الناقد الخارج عن الفضاء النصي، بوجود نص بديل، وهو ما يعرف بالمعرفة العلمية[1].

ويقترح إيجلتون أن تكون العلاقة بين الأدب والفن والأيديولوجيا، علاقة ملهمة، وذات معنى عميق، وليست مجرد مجموعة من الصور والأفكار، بل يجب أن تكون مبنية على تحليل علمي، وفي ذلك يقول:"إن النص لا يختار الصراعات الأيديولوجية لكي يحلها جمالياً؛ أن شخصية هذه الصراعات نفسها قد حددت، بإفراط، بوساطة الصيغ النصية التي أنتجتها... إن المعالجة النصية هي، بالأحرى، تمفصل متبادل معقد للاثنين (الأيديولوجية والنص) حيث تعرِّف الصيغ الجمالية المشكلات الأيديولوجية، وتحددها لكي تستطيع الأخيرة مواصلة إعادة إنتاج نفسها، ولكن ذلك لا يحصل إلا ضمن حدود وموضوع المشكلات اليت يقررها التعيين المفرط، الخاص بها، للأيديولوجي"[2]؛ إذ يركز إيجلتون على فكرة أن العمل مقيد بالأيديولوجية، وأننا نحس بها حتى في لحظات الصمت، ومن المفروض أن نعرف حدودها في النص، وكشف الفجوات، ولحظات الصمت في النص، واختلاف المعاني؛ وسيكون كل ذلك عاملا مساعدا في كشف حدود الأيديولوجيا في النصوص، وبذلك يكتمل العمل، وتغدو الحوامل الفعلية الموجودة في الأيديولوجية أشكالاً، وليست محتوى مجرداً في الأعمال الفنية.

---

[1] العروي، عبد الله: مفهوم الأيدولوجيا،ط65، المركز الثقافي العربي ، بيروت،1993م.

[2] إيجلتون،تيري: النقد والأيديولوجية، ص:109.

نستنتج مما سبق: يصعبُ جدا أن يتخلى الأديب في كتاباته– مهما كانت– عن استخدام الأيديولوجيا، كونها ملتحمة في النص أو متسللة فيه، بإرادة الأديب أو بغير إرادته، ويؤكد توظيف الأيديولوجيا في الأدب أصول الشعوب وثقافتها ومعتقداتها، التي تميزها عن غيرها من الشعوب، وإظهار تفردها وتميزها.

ب . الموقف الايديولوجي عند جورج أورويل

يعدُّ جورج أورويل أحد أبرز الساخطين على الرأسمالية، وبرز ذلك في أعماله الأدبية، ولعل الأبرز منها روايته (1984) فقد أثار الفزع من سلطة (الأخ الأكبر) الذي يراقب ويشاهد ويعلم كل شيء، وهو بذلك يرمز إلى للحكومات، التي لا تسمح للفرد العيش خارج المراقبة، ولعل مواقع التواصل الاجتماعي أبرز مثال عملي على نظرته تلك، وسماها جورج، أورويل بشرطة المفكر؛ حيث إن وسائل الرقابة الدائمة، التي تنتشر في الأزمنة الليبرالية والأمكنة كافةً، وهي التي تشعر الفرد بحريته، ولكن ذلك لا يسمح له بالخروج عن السياسات العامة التي وضعتها، وهذا ما يمثل رمزية الأخ الاكبر، الذي يسيطر على التصرفات كافة، التي يتحرك فيها الفرد في المجتمع[1].

وهذا ما يحدث حالياً، إذ بلغ الأمر إلى استخدام شركات الإعلام، ومواقع التواصل الاجتماعي، لتقنيات عديدة وموارد بشرية كبيرة، وأدوات ذكاء اصطناعي بهدف مراقبة

[1] العريس،إبراهيم: "1984" لجورج أورويل: حاجة ماسة بين الحين والآخر. صحيفة إندبندنت العربية، 2020/02/8. بتصرف

المشتركين، والسيطرة على محتواهم بما يخدم مصالحهم وذلك بتعزيز منشورات وحذف أخرى، بشكل آلي وبدون إمكانية الاعتراض على ذلك[1].

وكانت الإشارة الثانية عند نفس الكاتب، فكانت ضرورة الوعي من أجل الثورة، والاحتجاج؛ حيث تطرقت الرواية إلى عدم إدراك ما يحدث حقا في النوم، وعدم الاستيقاظ على الإطلاق، فكل ما تراه، وتسمعه، وتجربه، هو مجرد حلم، إنه ليس حقيقيا، ومع ذلك فقد تم تدريب المواطن على رؤية الوهم على أنه الحقيقة. وتظهر في الأحداث حقيقة أن مجتمع الرواية تُمارَس فيه السيطرة الاجتماعية، من خلال التضليل، والمراقبة، والتلاعب بالأفكار، والعقول. لقد أدرك، أورويل أن الأنظمة القمعية، تحتاج دائما إلى أعداء، ففي "1984" أظهر كيف يمكن إنشاؤها بشكل تعسفي عن طريق إثارة الشعور الشعبي من خلال الدعاية. وإلى أن تستيقظ من الحلم وتدرك الحقيقة كاملة فلن تتمرد أبدا على القوالب الجاهزة، وسيبقى الدماغ مغسولا، وسيتعامل مع الأشياء بكل دوغمائية، وكيف ستكون حياتنا اليوم، وكيف سيفقد الكثير منا الوعي ويكون منساقا مع القطيع[2].

بعبارة أخرى، يجب أن نصدق الأكاذيب التي نقولها لأنفسنا، ونتظاهر بأننا لا نعرف الحقيقة، وهذا يعني فصل جزء من نفسك عن الآخر، كما لو أن الجزء المنساق في الحياة اليومية، لا يعرف السر، وبطريقة ما يشبه الأمر، غض الطرف عن الحقيقة. كما لأي نسق ثقافي في المجتمع وظيفة أيديولوجية، فالأيديولوجيات يمكن أن تشتغل لصالح أنساق ثقافية

---

[1] المعجل،سعاد فهد: انتبهوا.. الأخ الأكبر يراقبكم..! صحية القبس، 2020/03/09. بتصرف

[2] سيتون،جين: رواية "1984" التي استشرفت "الاستبداد الذي نعيشه الآن"، موقع BBC عربي، 2018/5/10م وكذلك: الجزيرة نت: في زمن الميديا وتزييف الحقيقة.. اقتباسات من رواية جورج أورويل تنطبق على عالمنا، 2020/03/27.

معينة، ضد أخرى؛ لأن الأنساق الثقافية نظام متواصل ومتوارث، تنتقل من جيل إلى آخر عن طريق المحاكاة، أو التكرار، أو الممارسة بشكل لا شعوري. فالكاتب يحمل قبل تأليفه لرواية، أو كتاب، خلفيات إيديولوجية معينة في ذهنه تبناها لا شعوريا، وتوارثها عبر الأجيال عن طريق الممارسة والتكرار، لذلك فهو يحاول تمرير أنساق ثقافية مضمرة في كتاباته، تعلي من أناه الظاهر، وتنقص من الآخر المضمر، خادمة لهذه الأيديولوجيا التي يتبناها هذا الكاتب[1].

جـ الموقف الأيديولوجي عند ألبير كامو:

يعدُّ ألبير كامو الذي ولد من أب فرنسي على الأرض الجزائرية[2]، واحدا من المفكرين العبثيين، الذين نادوا برفض المدارس الأيديولوجية الشمولية، وتمثّل رفضه للشيوعية والرأسمالية ودعا إلى قدسية الإنسان كإنسان، كمسار سياسي، ويؤكد، في عمله " الإنسان المتمرد" أنّ الشيوعية تؤدي –بلا هوادة– إلى القتل، ثم يشرح كيف تنشأ الثورات من أفكار وحالات روحية معينة، ولكنه لا يقوم بتحليل دقيق للحركات، أو الأحداث، ولا يعطي أي دور للاحتياجات المادية، أو الاضطهاد، ويعتبر البحث عن العدالة الاجتماعية محاولة مستوحاة من الميتافيزيقيا؛ لاستبدال عهد النعمة بحكم العدالة. علاوة على ذلك يصر كامو على أنّ هذه المواقف مبنية في الماركسية، ففي روايته (لا ضحايا ولا جلادون) أعلن نفسه اشتراكيًا، لكنه ليس ماركسيًا، ولقد رفض القبول الماركسي للثورة العنيفة، والمبدأ التبعي القائل إنَّ

---

[1] الحاج،قطاف: هوية الآخر في رواية الغريب لألبير كامو، جامعة يحيى فارس المدية، مجلة ألفا، م 7، ع1. 2020/04/20 ص:320.

[2] كامو،ألبير: موسوعة ستانفورد للفلسفة، ترجمته ونقلته إلى العربية، المترجمة: سارة اللحيدان، ونُشر في موقع حكمة.

الغاية تبرر الوسيلة، فقد كتب بشكل واضح: "من وجهة النظر الماركسية مائة ألف حالة وفاة، هي ثمن زهيد من أجل سعادة مئات الملايين"، فقد أكد كامو أنّ الماركسيين يعتقدون هذا ؛لأنّهم يعتقدون أنّ التاريخ له منطق ضروري، يؤدي إلى السعادة البشرية، وبالتالي يقبلون العنف لتحقيق ذلك[1].

يزعم كامو أنَّ في القرن العشرين أصبح القتل معقولًا، ويمكن الدفاع عنه نظريًا، وتبريره يكون بالعقيدة، واعتاد الناس على الجرائم المنطقية، أي: الموت الجماعي، سواء أكان مخططًا أم متوقعًا أم مبررًا بشكل عقلاني، وهكذا يسمي كامو الجريمة المنطقية "القضية المركزية" في ذلك الوقت، ويسعى إلى الفحص الدقيق للحجج التي يتم تبريرها من خلالها، ويشرع في استكشاف كيف أصبح القرن العشرون قرنًا من المذابح[2].

2) الأيديولوجيا والدين:

إنّ النظرة إلى الدين من ناحية إنسانية تحرّر الناظر من أي مظهر تعصبي، يظهره بعض السياسيين حديثا، ويحرره من أي استغلال، أو عنف؛ لأن الدين جزء لا يتجزأ من الهويات الروحية للناس، من المعتقد الإيماني التصديقي حول الخير والشر، والبداية، والنهاية، والثواب، والعقاب، وأي طقس من طقوس يمارسه المؤمنون يكون مقصده التقرب إلى الله تعالى، من أجل ذلك، يُعدُّ الدين جزءا من الهوية الروحية للناس في كل الأديان، وكل ما يتفرع عنها، من أي مذهب، أو طريقة، فالدين شيء، والأيديولوجيا السياسية التي

---

[1] العتوم،أمل: فلسفة كامو ضد الشيوعية، موقع إي عربي، 2021/07/6. بتصرف

[2] "Christian Metaphysics and Neoplatonism", in J. McBride, Albert Camus: Philosopher and Littérateur, New York: St. Martin's Press, 1992, pp. 93–165.

وكذلك: اللحيدان،سارة: ألبير كامو، موقع حكمة

تستند إلى الدين شيء آخر، وسنجد أنه ما من دين إلا ونشأت من ثناياه أيديولوجيا ما، تعمل على استغلاله سياسياً[1]؛ فالصهيونية مثلا هي فكرٌ؛ ولكنها اتكأت أيضا على اليهودية، وهي ليست يهودية، وفي السياق ذاته، نستطيع أن نفسر "الحق الإلهي لملوك أوروبا" في عصر الكنسية، كان مستنداً إلى المسيحية، ومثله فكرة الحاكم، وما تفرع منه من حركات سياسية وأحزاب، استندت إلى الإسلام، وهي ليست إسلامية، وإلا فما سبب الحروب في العالم قديما وحديثا؟ إلا بتبرير أيديولوجي ديني، فما من دين نجا من الاستغلال الأيديولوجي. فالأيديولوجيا الدينية تستمد طاقتها من الدين، وتنطوي على الحقائق المطلقة، والتصديق، والإيمان، وهذه سمة أيديولوجية فيها، أما الأيديولوجيا الأرضية، التي لا تستند إلى دين، فهي قابلة للتغير، والتبديل، والرفض، أما الأيديولوجيا الدينية فهي عنيدة؛ لأنها تدعي الاتصال الإلهي[2].

وتقوم الأيديولوجيا السياسية التي مرجعيتها الدين، بوظائف سلبية في التاريخ، فهي تدعي أنها مقدسة، وأن البشر يعيشون على الأرض بصراعاتهم، ومشكلاتهم تحت الأيديولوجيا السياسية الدينية، وأن أكثر ما هو خطير في الدين، أنه يبرر في صراعاته بين الناس على أساس أيديولوجي، وعلى هذا يقوم أصحاب المصالح في استنادهم إلى الفكرة الدينية المقدسة، كفكرة أيديولوجية، يؤمن بها هؤلاء الناس، ولهذا إذا فصل الدين عن السياسة، فإنّه يحرم أهل المصالح من أن يتحول الدين إلى أيديولوجيا، أو إلى أصوليات قاتلة، وأن حماية الحياة الروحية لأفراد المجتمع والدين، لا تتم إلا بإبعاد الدين عن هذه

---

[1] برقاوي،أحمد: الدين والايديولوجيا، مجلة البيان، الإمارات، 4تشرين أول 2016.

[2] برقاوي،أحمد: الدين والايديولوجيا، مجلة البيان، الإمارات، 4تشرين أول 2016.

الأيديولوجيا الدينية، والسياسية، وإبعاده عن السلطة التي تتكلم باسم الدين، وتدافع عن مصالحها

من أجل ذلك، تعد الأيديولوجية الدينية أخطر الأيديولوجيات؛ لأنها سبب في تحول الصراعات بين أهل الأرض من صراع سياسي أو حدودي أو أي شكل من أشكال الصراع، إلى صراع ديني، وهو أخطر صراع ممكن أن تدخل فيه فئتان،ويحتاج التحرر، من ذلك، إلى خطط استراتيجية لأي دولة، أو مجتمع لينجو من هذا الخطر[1].

ترى الباحثة أن هناك استغلالاً واضحاً للدين لتمرير مشاريع وأفكار وسياسات من خلاله، ويعد توظيف الأيديولوجية الدينية في المرتبة الأولى في تلك الصراعات أو تمرير تلك الأفكار؛ حيث زحزح الدين عقيدته ليمثل أهواء بعض السياسيين، وعدوه أداة فاعلة لتحريك الشعوب نحو الصراعات الداخلية في الدولة.

3) الأيديولوجيا والأدب

من الصعب جدا أن تفصل الكتابة عند الأدباء عن المجتمع؛ لأن المادة الأدبية مؤدلجة؛ لأن الكاتب منصهر في حياته مع المجتمع، فهو يعبر عن مجتمعه، وثقافته الاجتماعية، وانتمائه السياسي، من خلال إيضاح أفكاره، وتبرير أي سلوك مجتمعي، وهذا الأمر يحتاج إلى دقة وتفصيل، من أجل ذلك تُعد الرواية النموذج الأفضل لاحتضان كل هذه الطروحات؛ فالكثير من الكتاب جسدوا هذا التلاحم القائم بين الرواية والأدب من جهة، وبين الأيديولوجيا من جهة أخرى؛ لأنها تكشف عن فلسفته للحياة والكون، من خلال المجتمع.

---

[1] بلقزيز، عبد الإله: الايديولوجيا ومفاهيمها، موقع سكاي نيوز، شباط 2021. بتصرف

لقد تضمنت تيارات أدبية غربية وعربية بعض التوجهات الأيديولوجية، إلا أن هناك عائقاً ما بين الأدب والأيديولوجيا، يعرقله تارة، ويسهل الاندماج ما بين الأيديولوجيا والأدب تارة أخرى؛ لأنَّ الأدب تعبير رفيع عن مكنونات المجتمع وأفكاره، يوظفه الكاتب بطريقة جمالية، إلا أن وجود الأيديولوجيا في الأدب العربي مثلا، حمَّلت هذا الأدب أكثر مما يطيق؛ لوجود بعض الأيديولوجيات المنافية للأخلاق والعلم، وفتحت بؤرا للصراع بين النقاد والأدباء، وبين التيارات السياسية، والدينية والعلمية[1].

أثار شكري في رواياته الجريئة (الخبز الحافي) زوبعة كبيرة، دفع قطاعا ثقافيا عريضا إلى منع نشر هذا العمل في أوساط المجتمع؛ إذ إنَّ كثيراً من النقاد أغفلوا مكونات العمل الأدبي فيه؛ من الحدث، والشخوص، والزمان والحوار، وانصبوا على الإلحاد والجنس والسياسة، وهذا ما سبب انتصارا للرواية، ولكن المؤسف في النتيجة أنه دم الكاتب أُبيح، مثلما أبيح دم (سلمان رشدي)، الذي ألف رواية (آيات شيطانية)، باعتبارها مسيئة للدين، وهناك في تاريخنا العربي من الأدباء والشعراء، مَن أعدم نتيجة قصيدة عبر فيها عن أرائه وأفكاره، التي وجدت بعنوان (القصيدة التي قتلت صاحبها) وتسمي "القصيدة اليتيمة"[2]؛ لذا يفهم من ذلك، بأن الأيديولوجيا في الأدب العربي تتحكم في الأديب وأدبه وتوجهه؛ حتى ينال رضى المجتمع، والسلطة الدينية والسياسية[3].

---

[1] المحيميد، يوسف: تحيد الايديولوجيا عن ملامح النص الروائي، صحيفة الشرق الأوسط، 12 شباط 2017.

[2] يُنظر: القصيدة اليتيمة برواية القاضي علي بن المحسن التنوخي، قدمها: صلاح الدين المنجد،ط3، دار الكتاب الجديد،بيروت ، 1983، ص14-15. وكذلك: محمود شكري الألوسي البغدادي: بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب،تحقيق :محمد بهجة الأثري، دار الكتاب المصري، 20/2.

[3] السعيد ،عموري:الكتابة والتشكيل الايديولوجي في الرواية العربية المعاصرة، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة الحاج لخضر، الجمهورية الجزائرية،2013.

هذا، ويجب ألا نخفي على بعضنا، بأن الكتب الأدبية مشكلة بين الرواية، والقصة، والشعر، لا يمكن تجردها من الأيديولوجيا؛ لأن الأيديوجيا "تدلنا على الطرائق الخيالية التي يختبر الناس بواستطها العالم الواقعي، وهذا بالضبط ما يفعله الأدب، حيث يشعرنا أننا نعيش طروفاً معينة بدلا من أن يُقدم لنا تحليلاً مفهومياً لهذه الظروف، إن الأدب عالقٌ بشبكة الأيديولوجية، ولكنه بعمل في الوقت نفسه، على تبعيد نسه عنها إلى درجة نُدرك فيها المنابع الأيديولوجية التي يصدر عنها بقيامه بذلك لا يعمل الفن، والأدب كذلك على تمكيننا من معرفة الحقيقة التي تحجبها الأيديولوجية"[1]

إن ما سبق يجلعنا نستنتج أن العمل الأدبي لا يمكن أن يخلو من الأيديولوجيا غير أن المسافة بينهما تتسع وتضيق، وكلما ضاقت المسافة بينهما واجتمعت، فقد الأدب قيمته الفنية، فلكل من الأدب والأيديولوجيا أسلوب خاص واستقلالية في التعبير، مما يخلق علاقة قائمة على قوة الحضور في النسيج الداخلي للنص.

لقد عرف إبراهيم نصر الله الأيديولوجيا، بوصفه ناقدا، قائلاً: إنها أفكار مسبقة فرضت على الواقع المجتمعي، أو حكم مسبق على شيء يرى من خلاله فكرة تسبق التجربة، والملاحظة، والممارسة، والأديب يجب أن يخرج عن هذه الدائرة؛ لأنه الذي يعطي نصه الأدبي، أو الفني فكرته الداخلية التي تمسك بها أصلا، ويُضيف نصر الله قائلاً: إذا كانت فكرة ما عند الأديب، فهو بحاجة إلى إثباتها، ويجب تطويع الأدب إلى الأيديولوجيا، وليس العكس؛ لأن من يخضع نفسه للأيديولوجيا، يعتبر فقير التجربة، كما أن الأيديولوجيا نفسها،

---

[1] إيجلتون،تيري: النقد والأيديولوجية، ص:11.

لا تستطيع تفسير الواقع، فهناك فئات من المجتمعات، أنتجت أدبا خاصا بها، فالماركسيون توجهوا إلى إنتاج الأدب الماركسي، أو اليساري، وهناك أدب مسيحي، وتقوم هذه الآداب على أنواع جمالية خالصة، ونظرات دنيوية جميلة؛ لأنها تعزل الدنيا عن الآخرة، ولم توظف الأيديولوجيا، ورفضت الربط بين الأدب، والدين، أو الأيديولوجيا، وقسم الأدباء إلى مبدعين، حسب الخلفيات الفكرية، وواقعية الفن، وميز بعض النقاد بين الأديب الذي يتبنى الأيديولوجيا في أدبه، وبين الأيديولوجيا الموجودة في الأدب أصلا[1].

هناك الكثير من الأدباء الكبار، الذين حسموا هذا الموقف، وفرقوا ما بين أدبهم والدين والسياسة، مثل (تابلو، و مارسلين، وسأماراغو، بوليستر)، وجعلوا المتلقي يتأثر به وبثقافته، ووجد من المثقفين العرب والأدباء القدماء من رفض تأثر الأدب بالأيديولوجيا، أو بين الأدب والفكر، كما عمل الجرجاني، عندما فرق بين الدين والشعر في كتابه (الوساطة)، وعندما سئل عن ذلك أجاب: "فلو كانت الديانة عاراً على الشعر، وكان سوء الاعتقاد سبباً لتأخر الشاعر، لوجب أن يُمحى اسمُ أبي نواس من الدواوين، ويحذف ذكره إذا عُدّت الطبقات، ولَكان أولاهم بذلك أهل الجاهلية، ومن تشهد الأمة عليه بالكفر، ولوجب أن يكون كعب بن زهير وابن الزِّبَعري وأضرابُهما من تناول رسولَ الله صلى الله عليه وسلم وعاب من أصحابه بُكْماً خرساً، وبِكاء مفحمين؛ ولكنّ الأمرين متباينان، والدين بمعزل عن الشعر"[2].

ويعلق إبراهيم نصر الله قائلاً: يكون هذا نوع من التعديل حتى يبعد الربط بين معتقدات الأديب وإنتاجه الأدبي؛ لأن الفن موهبة، والفكر التزام بضوابط معينة، ومهما يكن فإنّ الأدب

---

[1] نصرالله، إبراهيم: العلاقة ما بين الأدب والايديولوجيا، محاورة في قناة الجزيرة، بتاريخ 2005/8/20

[2] الجرجاني،علي بن عبد العزيز: الوساطة بين المتنبي وخصومه، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة عيسى البابي الحلبي،القاهرة،ص:64.

العربي الذي يستلهم الأيديولوجيا، يكون ناتجا من أدباء غير مثقفين بما فيه الكفاية؛ حيث يعملون بالأيديولوجيا الشعبية، ويوظفون مجموعة أفكار دون الاهتمام إلى هذا الإنتاج الأدبي، الذي يصل إلى درجة الأدب السخيف، مثل بعض الروايات السورية، التي تدخل الأيديولوجيا، والأفكار الساذجة، والبسيطة داخل نصوصها، فبعد توغل الكاتب في سرد أحداث الرواية، فإنّ كان ناجحا في بداياتها، فإنّك سرعان ما تشعر بانحطاط القوة، وتدهور عمله الفني شيئا فشيئا، ويُعزى سبب هذا التدهور إلى وجود الكثير من الالتزامات الأيديولوجية عنده؛ حيث يقنعك بأنه ملزم ومجبور عليها، فتظهر الرواية بصورة شعبية ركيكة، تدمر الأعمال الروائية، المنظومة بشكل صحيح، وهدف الراويمن وراء ذلك أن يصلك إلى ما يريد، وأنه يمتلك أيديولوجيا؛ ليثبت للقارئ بأنه مثقف، وكثير المعلومات، وشخصيته قوية، ويكون هدفه من الرواية، تقديم العلاجات الروحانية للناس، خصوصا من يتبع الشعوذة، والسحر، والغيبيات فيقدم النصائح، والمواعظ، وكل هذا يدخل في الأيديولوجيا، حتى وإن لم يعرف هذا التوجه، لأنه يزعم بذلك أنه يقدم علاجاُ ونصائح للبشرية، ويربط ذلك في الدين الشعبي، والغيبيات التي لا تفسر، ومع الأسف أن تلك الروايات تنتشر بين الناس، يحبونها ويفتشون عنها، وهذا الأدب أشبه بالشعوذة غير المحببة، حتى الراوي يشعرك بأنه (يعمل حجابات، أو ساحر يقدم الطلاسم، أو عراف) كما ينتشر العرافون والمشعوذون بين الناس، وهذا له علاقة كبيرة بالمجتمع وبثقافة الأديب اللتين تتناغمان معا[1].

[1] نصرالله، إبراهيم: العلاقة ما بين الأدب والايديولوجيا، محاورة في قناة الجزيرة، بتاريخ 2005/8/20

من هنا، يميل القراء لمثل هذا النوع من الروايات الأدبية؛ للتعرف إلى الكتّاب، على اعتبار أنهم جزء من الرواية، وأن الكاتب شبيه بكتاباته، فيحبه الناس عن طريق نصه، ويحبون التلاقي به، ورؤيته؛ لأن القارئ لا يميز ما بين حقيقة الكاتب وكتابته، وممكن أن تكون هذه الكتابات سلم صعود للكاتب في المجتمع، ويشتهر عن طريق هذه الكتابات، فالقارئ يعرف أن فلاناً كاتب كبير معروف، ويعرفه من أفكاره وكتاباته، أكثر مما يعرفه بأهدافه الروائية[1].

[1] لابروزين ، عبيد : الأدب والايديولوجيا ،مجلة العرب الجديد، الأول من كانون الأول عام 2017.

السؤال المطروح: هل ينجو الأدب من الأيديولوجيا؟

يتلاءم الأدب في أهدافه، وطرائق تعبيره مع المجتمع وقضاياه وهمومه، وشهدت الآداب تطوراً على مر التاريخ في الحركات النقدية، التي تابعت العلاقة الوظيفية للأدب تجاه الإنسان والمجتمع ووصفتها؛ وذلك كله يؤكد أن البيئات الاجتماعية، والأفكار السائدة، بما تحمله من أيديولوجيات تؤثر في الفن بشكل عام، وتظهر أيضاً "عبر الدساتير والعادات والتقاليد والفلسفات"[1] بوصفها أشكالاً متمايزة تعبر عن مضمون فكري بطرف مختلفة.

يكاد يكون من الصعب أن يوجد فصل بين الفنون الأدبية، والأيديولوجية، وستظل هذه الأيديولوجية لصيقة به، وحاضرة في كل خطاباته، ولا يخفى على القارئ أن الروايات لا تخلو من هذه النفحات الأيديولوجية، تقرأ الحياة، والواقع، والأفكار، والقناعات، والآراء، والمعتقدات التي تنحصر كلها في الأيديولوجيا؛ إذ يُعد الكاتب كالصانع الذي ينطلق من المواد الأولية، ويتبع مساراً تتم فيه عملية تحويل اللغة وتشكلها وإعادة تركيبها، فيقوم بإنتاج نص مبدع ليجد أمامه "تجربته الحياتية بأبعادها النفسية والاجتماعية والأيديولوجية التي يتبناها، ومجمل الأيديولوجيات الموجودة في مجتمعه وعصره وأشكال انعكاساتها في ذهنه، وفي أذهان الناس الذين يحيا معهم"[2]، وبذلك لا يكون الأديب عارضاً للوقائع غير متفاعل معها، أو مصوراً فتوغرافياً جاف المشاعر؛ لأن النص الأدبي هو حصيلة عصارة تفاعل مجموعة من العوامل العديدة التي تشكل موقفه من العالم، ووسيلة لإدراك الحياة، فهو "نتيجة تعاقد آني ما بين الكاتب والوسيلة، وبعدئذ يمكن استنساخه لمصلحة العالم، ووفقاً للشروط

---

[1] ،الخطيب ،محمد كامل : الرواية والواقع،ط1 ، دار الحداثة،بيروت،1981م. ص:107.

[2] بالحسن،عمار: الأدب والأيديولوجية ، المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر، 1984م. ص:94.

المفروضة من العالم، وفيه"[1]، وعليه فإنَّ العمل الأدبي فضاء رحب يستوعب تجارب الإنسانية، يعالجها ويوجهها، ويعيد تشكليها.

إنَّ الأدب نتاج مجموعة من تناقضات التاريخ، والمرحلة التي كتب فيها لأنه "مؤسسة اجتماعية"[2] يشكّل مع التاريخ، والزمن، والمجتمع كتلة متناقضة تتمحور حولها العلاقة الموضوعية للأدب بالأيديولوجيا، باعتبار هذه الموضوعية متكأ أساسيا للنتاج الأدبي، وكعنصر تشكيل من جهة، وهو نتيجة يقدمها النص الأدبي من جهة أخرى، أو تقدمها الأيديولوجيا الأدبية التي تخضع لاتجاهات جمالية، وأسلوبية تتواجد خلف هذا التشكيل اللغوي، كما يعتبر الكاتب، أو الأديب كالصانع الذي ينطلق من المواد الأولية، ويتبع اتجاها تتم فيه عملية التحويل، والتركيب، والتشكيل للغة، فيقوم هو بإبداع النص الأدبي ليجد أمامه، التجربة الحياتية بأبعادها، التي يتبناها مع مجمل الأيديولوجيات الموجودة في مجتمعه، وعصره، وأشكال انعكاسها في ذهنه، وفي أذهان المتلقين الذين يعيش معهم، وبالتالي فالأديب ليس عارضا فقط للوقائع، أو مصورا للأحداث، ولا يلتقطها بإحساس جاف، ولكنه صبغها بصبغته، وامتزجت بذاته، والنص يصبح عصارة للتفاعل مع عوامل عديدة، تشكل موقفه من هذا العالم، ووسيلة فنية جميلة لإدراك الحياة، وبالتالي أصبح العمل الأدبي

---

[1] سعيد ،إدوارد: العالم والنص والناقد، ترجمة: عبد الكريم محفوظ. اتحاد الكتاب العرب،دمشق، 2000. ص:103.

[2] رينيه ،ويلك وأوستن ،وورين: نظرية الأدب، ترجمة: صبحي محيي الدين ، المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب،دمشق، 2000. ص:103.

فضاء رحبا، يستوعب التجارب الإنسانية، ويعالجها ويوجهها، ويعيد تشكيلها، بحيث تتضمن نصوصه للخطاب الأيديولوجي الموجود[1].

تُعدُّ الرواية، أوسع أبواب الفن احتواء للأيديولوجيا، ورواجا لها، وأن على الأديب أن يكون ملتزما بفنه، (الأدب الملتزم)، وهذا يعود إلى بدايات الثورة الروسية التي شاع فيها مبدأ الالتزام بالفكر الاشتراكي، وأصبح اليوم التزاما على الاشتراكي وغيره، فيما يعتقد ويقتنع، وهذا ما فعله (سارتر) عندما أخرج الموسيقى والشعر من حظيرة التزام الشاعر، كما أخرج آخرون الدين من هذه الدائرة (الأيديولوجيا)، ولكن في الروايات العربية من الصعب جدا تجنُّبها البعد الأيديولوجي؛ لأن الأيديولوجيا متأصلة عند الإنسان العربي، حتى وإن احتلت القضية الوطنية الصدارة في كتابة الروايات العربية، والفلسطينية، ومن ذلك على سبيل المثال، أن ابن باديس رفض أن ينشر قصيدة في الغزل؛ لأن وطنية كتاباته طغت عليه في عصر التحرر، واليوم هناك وجود للأيديولوجيا، في العمل الأدبي العربي، وخصوصا الرواية، وذلك خوفاً من أن تظهر الروايات بشكل سطحي، أو تكون تقريرية، باعتبار الأيديولوجيا نسقا كليا للمعتقدات، والأفكار، والاتجاهات الكامنة في سلوك الأفراد[2].

ويقول النقاد: إنَّ أفضل الأعمال الأدبية هي أقدرها على إخفاء الأيديولوجيا، في المقابل ذهب رأي آخر إلى القول: إنه لا توجد حقائق في البحر العلمي تقول عكس ذلك، فالأدب العربي مثقلٌ بمدلولات الأيديولوجيا، التي تعكس حالة المجتمع، ووعي الأديب، ولا يمكن التصور أن يكتب الأديب رواية بمعزل عن الذات، أو البنية المجتمعية الموجود فيها،

[1] السعيد ،عموري: ، الكتابة والتشكيل الايديولوجي في الرواية العربية المعاصرة، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة الحاج لخضر ، الجمهورية الجزائرية،2013.

[2] نصرالله، إبراهيم: العلاقة ما بين الأدب والايديولوجيا، محاورة في قناة الجزيرة، بتاريخ 2005/8/20.

وانطباعاتها ورأيها، ومن الصعب الفصل بين الوعي عند الأديب، ورسالته الأدبية وأيديولوجيته، حتى وإن أراد أن يخفيها؛ لأنه غير ملزم بإظهارها في روايته مثلا، فالأدب يتحرك فوق الأرض التي خلق فيها السياسي، والديني، والاجتماعي، والغني، والفقير، ومن الصعب جدا الحط من قيمة النصوص الإبداعية، حتى ولو كانت مضمنة لمكنون أيديولوجي، ولا حق لأي ناقد أن يصدر حكما على المؤلفين، الحاملين نصوصا إبداعية[1].

يقال: إن الأيديولوجيا إذا كانت هي الإيمان واليقين عند الشعوب بفكرة ما، فيكون الأدب والإبداع هو لا يقين، فإذا وصلت الرواية إلى اليقين الكامل، وتخلت عن الشك، وفيها إجابات جاهزة، فتكون ذات سحر، وجمال وقد خطت على يد كتاب مبدعين، وأكثر ما يضعف النصوص الروائية هو تدخل الأيديولوجية بشكل لافت فيها، وهذا ما يجب أن يدركه الكتاب البارعون، وذلك بألا تتحول نصوصهم الروائية إلى خطابات أيديولوجية، وهذا ما وجد عند الروائي البرتغالي(ساراماغو)، إذ تحول إلى مبدع ذي خيال واسع، وبهذا يكون هناك فصل ما بين الأيديولوجيا والمواقف الأدبية، وبالتالي يمكن أن تتحرر الروايات من السطوة الأيديولوجية، كما وجد في الروايات العالمية عند الروائي السياسي، الذي قال: (ما للأدب فهو للأدب، وما للسياسة فهو للسياسة)[2].

إنَّ النص الروائي –في نظرهم– يضعف إذا هيمنت عليه الأيديولوجيا، وتتحول عناصر الرواية لخدمة الأيديولوجيا، فيتحول النص من الجمال إلى معنى (هيولي)، قابل للتشكيل مرة أخرى(مادة خام)، وأن أي نص يعتمد فيه الكاتب على إدخال الأيديولوجيا فيه يضعفه،

---

[1] عامر، مخلوف:هل ينجو الأدب من الايديولوجيا، صحيفة النصر، بتاريخ 18 آيار 2021.

[2] عامر، مخلوف: هل ينجو الأدب من الايديولوجيا،.

ويتحول إلى أدب شعاراتي، ويجب تحذير الروائيين منه، ويعني ذلك أن تتسل الأيديولوجيا بشكل ضيق، ومن المحبب أن تكون سهوا إلى روايته، وعدم السقوط في الفخ الأيديولوجي، وهذا يتطلب من الروائي حذراً شديداً كمن يمشي على خيط من علو، ومع ذلك تتدخل الأيديولوجيا في النص رغما عن الكاتب من خلال المواقف، والشخوص، والأحداث، حتى وإن حدث ينبغي البعد عن المبالغة فيها، والعمل قدر الإمكان على الانفلات من هذه الأيديولوجيا، حتى لا يخرب النص الروائي؛ ليكون نصا مكتملا بفنه الجمالي[1].

تدخل الأيديولوجيا إلى النصوص الروائية كعناصر جمالية، لا غير، لا تؤدي دورا إلا وظيفة التشكيل لمادة العمل الفني، فهي معروفة ومصنفة، وغير متحكم فيها، وليس محكوما عليها؛ وفي ذلك، تقول جوليا كريستيفا: إن النصوص متعددة الأصوات، الحاملة للشكل، تصبح عنصرا مهما لإغناء المادة الروائية، وأدوات صياغة يمكن أن يستعملها الكاتب عند الكتابة في فضاء النص، وهذا يستوعب عديدا من الأيديولوجيات الموجودة في الواقع، أو متضمنة في نص من نصوص أخرى، لذلك، تستعمل كريستيفا مصطلحاً جديداً وهو الوظيفة التناصية، التي يمكن قراءتها وهي تظهر ماديا على مختلف المستويات لبنية كل نص، التي تُعدُّ مانحة له كل مطابقاتها التاريخية، والاجتماعية، وتبدو هذه الأيديولوجيات موجودة داخل بنية النص الروائي، كنها موجودة لاختبار صلابتها، وقوتها في مواجهة الكثير من الأسئلة التي توجه إليها من القارئ، ويتم أحيانا إخضاع بعضها لبعض بوسائل أكثر فنية، وتمويهية

[1] المحيميد، يوسف: تحيد الأيديولوجيا عن ملامح النص الروائي، صحيفة الشرق الأوسط، 12 شباط 2017.

حتى تلهي القارئ عما يجري ضد ملكاته الإدراكية[1]، هذا الإخضاع الفني الموجود لأصوات الأيديولوجي، يبدو عملا غير مبرر من الكاتب، الذي يدير الصراع الأيديولوجي داخل الرواية، لهذا، يجب توخي الحياد في الكتابة، وتتحدد ملامح أيديولوجيته في نهاية العمل، كتصور يضع هذا العمل الروائي ضمن حقل أكبر، يعبر عن موقف أيديولوجي، ورؤية للعالم، وتصور طبقة معينة، ويتولد عن هذا التفاعل الأيديولوجي داخل النص الروائي، موقف الكاتب الأيديولوجي أيا كان توجهه، سياسيا، أو معرفيا، ورؤيته للعالم، الأمر الذي يجعل الرواية عنصرا أيديولوجيا، وذلك ضمن حقل ثقافي شامل، ويحتاج الباحث لتحديد هذه الرؤية إلى حركة كثيرة تتولد بين النصوص، ثم بين النص وداخله، لدراسة النص من داخل علاقاته[2] .

بعد هذه الآراء **ترى الباحثة** أنه يصعب جدا الفصل بين النصوص الأدبية والأيديولوجيا؛ فهي في صُلب إنتاج الأديب، وإن لم يشعر.

المعتقدات الشعبية في المجتمعات

تؤثر المعتقدات، والخرافات، والغيبيات، في تشكيل ثقافة المجتمع، وحاول الدين أن يقدم بعض التفسيرات لتلك المعتقدات والغيبيات؛ كالخوف، أو الحب، أو السعادة، ولكن اختلاط، عتد بعض الشعوب، الدين بالأساطير فزاد التشكيك في هذه الثقافات التي جاءت نتيجة تراكمات أسرية مجتمعية، وطبقية، وقبلية، وهيمنة هذه الثقافة على تلك المجتمعات

---

1 الأحمداني،حميد : النقد الروائي والايدولوجيا من سوسيولوجيا الرواية إلى سوسيولوجيا النص الروائي،المركز الثقافي العربي،بيروت، 1990م. ص43.

[2]الجيار ،مدحت : النص الأدبي من منظور اجتماعي، دار الوفاء،الإسكندرية، مصر، 2001.

المغلقة؛ إذ أصبح الخوف من المستقبل واضحا لدى بعض الأفراد، وهناك بعض المعتقدات التي وجدت في بعض المجتمعات، قد قصرت في تفسير ظهور تلك المعتقدات، يُطلق عليها المعتقدات الشعبية، أو الخرافة، أو الأسطورة، وأسندت إليها ظهور بعض الظواهر الطبيعية في المجتمع دونما تفسير، فالمعتقد الشعبي أصبح ظاهرة اجتماعية نتج من التفاعل الاجتماعي بين الناس، وتصوراتهم، حول وجود الظواهر، وبالتالي أصبحت هذه المعتقدات، قوة مسيطرة على المجتمع تتحكم في سلوكه، وهي الآمرة الناهية[1].

نشأت المعتقدات عند تفاعل الإنسان مع البيئة، إضافة إلى ما يحمله من موروث اجتماعي ديني وثقافي، وجغرافي حول بيئته، وقد يضيف موروثات أخرى، وصلت إليه من أجداده، ومن أجيال أخرى، وبهذا كثرت المعتقدات في المجتمعات، إلا أنه يظل عاجزا عن تفسير هذه المعتقدات تفسيرا علميا، مثل المعتقدات التي تشيع في مجتمع ما عن السحر، والشعوذة، التي تهتم بها النساء، وأكثر ما يؤمن بها هي المجتمعات المغلقة، وبعض المعتقدات التي ترتبط بالليل والخوف من الظلام، لأن هذا الوقت مناسب للأرواح الشريرة والجن، لهذا يتجنب الناس الخروج ليلا حتى لا يصابهم آذى، فالخرافة، أو المعتقد، تقف حاجزا أمام تقدم الشعوب وطموحاتها، فيقفون عاجزين عن تفسير الظواهر الكونية.

إنّ هذه الخرافات الشعبية التي تأصلت في عقول الناس، تقوم على عنصر الغرابة، واللامعقول؛ فهي لا تستند إلى العقل، أو إلى الواقع، أو إلى أي ظاهرة علمية، أو طبيعية، مثل: الغول، والعفريت، والأرواح الطاهرة، التي تقرب إليها الإنسان، في العصور القديمة،

[1] خليل، إبراهيم: الرواية بين الايديولوجية والفن، الرواية الاردنية نموذجا،2010.

بالقرابين، ولا نجد لها تفسيرا مقنعا، ثم نجد الأسطورة المتفشية في عقول الناس التي تحاول أن تقدم تفسيرا لبعض الأسئلة؛ لكي تفهم في واقع الناس عندما تحطم قوانين العقل، وتبتدع قوانين جديدة، فهي تقدم حلولا للإنسان؛ ليتأقلم مع واقعه المعاش[1].

أفادت الرواية الأدبية من الخرافة والأسطورة في البناء الفني، ثم ترتكز على بعض المعتقدات بين الناس، فالرواية من حيث الشكل الفني، تعبر عن الشكل الثقافي الذي يسود المجتمع الذي تصفه، وتحكيه، وتعكسه، بمعنى، أنها لا تخلو من تاريخ المجتمع، أو ثقافته، أو حضارته، أو عن واقعه، وتشكل الأسطورة أحد العناصر الموروثة التي وظفت في الروايات بشكل فني ورمزي، وخلقت نوعا من المضمون الجمالي للنص، والتشويق للقارئ، وتضمين الأساطير والخرافات، وغيرها هي إنجاز نوعي للرواية، وينسجم هذا الإنجاز مع الثقافة العربية؛ فقد استخدم الروائي الفلسطيني الخرافات، والمعتقدات الشعبية، والأسطورة في بنائه الفني للرواية، بشكل متواز بين وقائع أسطورة، وحكاية موروثة، بين رواية أبطالها من الواقع الفلسطيني.

ويعد أحمد رفيق عوض من كتاب الروايات الفلسطينية الذين ظهرت المعتقدات الشعبية، والخرافات، والأساطير (الأيديولوجيا)، في رواياته السبع، التي سنتحدث عن بعضها؛ حيث قام بتوظيف أساطير، وطقوس دينية، وزواج، في بنائه الفني للروايات[2].

---

[1] عذرواي،سليمة: الرواية والتاريخ، دراسة في العلاقة النصية، رسالة ماجستير ، جامعة يوسف بن خدة،2006، ص20.

[2] الباش، حسن وسهيل ،محمد:المعتقدات الشعبية في التراث العربي،دراسة في الجذور الأسطورية والدينية والمسلكية الاجتماعية، دار الجليل،سوريا ، ص: 10.

وترى الباحثة أن الخرافات الشعبية التي تأصلت في أفكار الناس، تقوم على عنصر الغرابة، واللامعقول، ولا تستند إلى العقل، لا يمكن فصلها عن الواقع المعاش، لهذا تنعكس في الكتابات الأدبية المتنوعة، وتشكل عنصرا مهماً في بنائها الفني.

من المعتقدات الشعبية الفلسطينية

لا يخلو أي مجتمع سواء من المعتقدات الشعبية المتأصلة فيه؛ ففي فلسطين مثلا، تدور المعتقدات الشعبية حول الكثير من المواقف المبهمة التي نُقِلت عبر الأجيال، وما زالت تؤمن بها، ومن ذلك على سبيل المثال: رفيف العين (ذلك الرفيف اللاإرادي المتحرك لجفن العين العلوي). وقد فسره الفلسطيني دلالة على الخير الجميل الذي سيأتي لهذا الشخص؛ أما إذا رف الجفن الأيسر، فهو دلالة على الشرّ الذي يمكن أن يصيب الإنسان.

وفُسر طنين الأذن بشيء مشابه: فإذا شعر الشخص بالطنين المفاجئ داخل الأذن اليمنى، فهذا يدل أن أشخاصًا بعيدين عنه يذكرونه الآن بالخير؛ أما إذا كان الطنين في الأذن اليسرى، فإنّهم يذكرونه بالسوء. ومثله (الحكَّة)، أو (النمنمة) في الكف اليمنى؛ فإنّ ذلك يدل على التسليم على شخص عزيز كان غائبا منذ زمن، على عكس من يشعر بالنمنمة، أو الحكّة في الكفَّ اليسرى، التي تُفسر بأنَّه سيقبض أموالاً كثيرة سيجنيها في القريب.[1].

وهناك اعتقاد في لحس البقرة لصباح جبهة الصغير، أن شعره سيصبح أملس وجميلا، وإطعام الشخص الخائف دجاجة سوداء: يزيل الرعب ويشفى.

---

[1] الإشقير ، عبد الرحمن : معتقدات شعبية في الحياة اليومية ، المشراق ،جريدة العرب الاقتصادية الدولية ،25 كانون ثاني2018.

ومعتقد نهيق الحمار، أو صياح الديك: في المعتقدات الشعبية الفلسطينية سببه رؤية الشيطان، في حين يكون سبب صياح الديك رؤية ملاك. ويجب ذكر اسم الله، أو البسملة عند رمي الأشياء في الأماكن المهجورة؛ لأنَّ الجن يسكنها[1].

كذلك تجنّب المرور بالمقبرة ليلاً؛ لأنه يخرج القتلى من الأموات، فتصير كالجنيّة وتتلبس من يمر وحيداً، والصفير ليلاً، أو الغناء أثناء الحمام يجمّع الشياطين. ورش الملح على الباب نهاية رمضان، لمنع الشياطين من دخول البيوت؛ لأن الشياطين تُقيَّد في رمضان، ثم البسملة عند سكب المياه على الأرض خصوصاً ليلاً: منعاً من إيذاء الجن حتى لا يتلبّس الإنسان على الفور. و تبخير البيوت، طردا للجن والشياطين، ولإزالة العين من الحسد.

وتعليق الحجاب، والخرز الأزرق، والبيض المفرَّغ وحذوة الفرس، والأحذية أنها تحمي الناس من الحسد، ويعتقدون أن الحسد يقتل الإنسان، ويوقع الجمل ويقضي عليه. وطلاء البيت بالشّيد من الواجهة الخارجية، والنيلة الزرقاء؛ لأن هذين اللونين يساعدان على ردع العين الحاسدة. وكتابات مثل:"عين الحسود فيها عود" و "الحسود لا يسود"، "وهذا من فضل ربي"، فهذه العبارات لها القدرة على إيجاد البركة، وطرد الشر من البيت، وإبطال الحسد. ورش الملح، أو الشعير على العريس، للوقاية من عين الحاسد.

ومثلها تسمية المولود بغير اسمه الحقيقي، وعدم العناية بنظافته، خوفا من حسده وموته، وأن الدق على الخشب، والطرق عليها تجعل الأرواح الجنية الشريرة تهرب بعيدا،

[1]وفا: المعتقدات الشعبية الفلسطينية، وكالة الانباء والمعلومات الفلسطينية،2020م.

ورؤية القطط والكلاب ذات اللون الأسود التي يتشاءم منها الناس لأنها يمكن أن يكون جنًيا متحولًا على هيئة الكلب[1].

ومن ناحية اجتماعية، يعتقد أن انسكاب القهوة أثناء غليها على النار، أو انسكبت على الأرض، يدل على حدوث خير، أما تعبئة الفنجان إلى حافته، فهو دليل على كراهية الضيف المقدم له القهوة، و قراءة الفنجان لكشف المستقبل (الطالع) وخباياه.

ويمثل الاعتقاد بكرامات الأنبياء والأولياء الصالحين للتبرك بنيل كراماتهم، فينذرون النذور ويذبحون عند قبورهم؛ لقبولها ببركة الأولياء الصالحين، وتلجأ المرأة إلى قبور هؤلاء الأولياء عندما تحدث لها أزمة، أو مرض، أو عدم الزواج، أو تسريعها للحصول على زواج، والرغبة في الإنجاب لمن لديها مشكلة في العقم وتعسر في الأنجاب[2].

وتعدّ كتابة الحجاب أحد المعتقدات المتمثلة بإبعاد السحر؛ حيث يكتب على ورقة بعض الآيات القرآنية، ويخاط عليها، وتربط كقلادة تلعق في رقبة الشخص، أو المسحور، وأيضا رش الماء وراء المسافرين، تفاؤلا بالعود سالمين إلى ديارهم.

وعلى العكس، كسر الفخارة، وراء شخص غير مرغوب فيه؛ كي لا يرجع ثانية، ثم رمي السنّ المخلوعة تجاه الشمس، لتعطي الطفل سنا جميلة بدلا من المخلوعة، والحذاء المقلوب أو سقوط قشور الثوم يجلب الحظ السيئ إلى المنزل، والاعتقاد بوجود الجن داخل شجرة الخروب، فينصح بعدم الاقتراب منها ليلا[3]

---

[1] الباش، حسن وسهيل، محمد: المعتقدات الشعبية في التراث العربي ،دراسة في الجذور الأسطورية والدينية والمسلكية الاجتماعية، دار الجليل،سوريا2005.

[2] الباش، حسن وسهيل محمد: المعتقدات الشعبية،2005م.

[3] وفا: المعتقدات الشعبية الفلسطينية، وكالة الانباء والمعلومات الفلسطينية،2020.

وتطول قائمة هذه المعتقدات الشعبية التي ما زلنا نسمعها في أيامنا هذه في فلسطين.

وترى الباحثة أن هذه المعتقدات الشعبية ما زالت ماثلة حتى اليوم بين فئات المجتمع بأطيافه المختلفة، تتوارثها الأجيال المتعاقبة، وتؤمن بها دونما تفسير لها، أو إجابة عن أسئلة الأطفال، وفي هذا نوع من الخطورة، والخوف على الأبناء من هذه الخرافات والأساطير، التي يورثها الأب لأبنائه.

أصل الأيديولوجيا (المعتقدات الشعبية)

تعدّ المعتقدات الشعبية موغلة في القدم، وامتدت إلى أيامنا هذه، فمنها مثلا المعتقدات الطبية، كأن يرمي الطفل سنه نحو قرص الشمس، ويقول "يا شمس أبدليني بسن الغزال"، وهذا موافق لقول طرفة بن العبد في العصر الجاهلي:

بدلته الشمس من منبتهِ برداً أبيض مصقول الأشرِ

ويقول كُثيّر عزة، عندما تخدرت قدمه، وعند ذكر المحبوبة يذهب هذا الخدر وينسى الوجع:

إذا خدرت رجلي دعوتك اشتفي بذكراك من مذل بها فيهون

وكتب الجاحظ في كتابه (الحيوان) بعض المعتقدات الشعبية عن الحيوانات وألوانها، وأنواعها، ووقت مجيئها الذي يلامس حياة الناس في حياتهم اليومية، ثم ذكر طنين الأذن

بأنه يدل على أن إنساناً يذكره، وإذا مسح شخصٌ يده بثوب صاحبه، فإنّه يبصق، وذلك حتى لا يبغضه[1].

ومن المعتقدات غير العربية، التي انحدرت من ثقافات، أوروبية وآسيوية، وتدل على بعض الظواهر الاجتماعية، أنَّ ولادة المولود يوم الأحد يعصمه الله من الشرور والغرور، ومن يتثاءب يضع يده على فمه خوفا من دخول الشيطان، لذا يبدو أن انتشار هذه المعتقدات كثيراً بين الشعوب، له ارتباط تاريخي، أو ديني يمكن أن تكون قد حصلت لإنسان، ونقلت بالخبرة للآخرين؛ لأن فيها مشتركات إنسانية بين الشعوب، وعند العوام بشكل خاص[2] .

تعتقد الشعوب أن هذه المعتقدات، أو الأفكار يمكن أن تجلب نفعا، أو تبعد ضرراً، عمن يؤمن بها، فهي ظاهرة تلتصق بالتفكير عند الإنسان البدائي؛ لأن هناك الكثير ممّن يهملها في حياته، ومن يؤمن بها لا يملك دليلاً منطقياً، أو علماً منهجياً للتخلص من هذه المعتقدات؛ لأن الإنسان الجاهلي كان إذا عجز عقله عن تفسير ظاهرة ما لجأ إلى الآراء، أو التفسيرات الاجتماعية حتى يريح ذهنه من أي تساؤل، أو قلق.

تقول الدراسات: إن الإنسان يؤمن بالأساطير في المعتقدات الشعبية، فهي توحي بعجزه عن تفسير ظاهرة فيلجأ إلى الحكاية، أو القصص لتحميه من خطرها، مثل ظاهرة (تنميل) القدم ورفِّ الرمش؛ التي توحي بتأجيل الأعمال إلى يوم آخر، أو تشاؤم في نفس

---

[1] الزهراء ،نسيسة : المعتقدات الثقافية وتأثيرها على البنى الاجتماعية في منطقة متيجة، جامعة الجيلاني ، خميس مليانة، الجزائر ،2016.

[2] لاشقير ، عبد الرحمن : معتقدات شعبية في الحياة اليومية، المشراق، جريدة العرب الاقتصادية الدولية ،25 كانون ثاني 2018.

الأسبوع، وهناك الكثير ممّن يؤمن بهذه الخيالات، كمن يؤمن، أيضا، بأن الخير لا يأتي إلا يوم الثلاثاء من كل أسبوع، وهناك من لا يحبون مجيء يوم الثلاثاء؛ لأنه يوم بؤس ونكد، فيقومون بتأجيل اجتماعاتهم إلى يوم آخر، ولديهم القصص، والشواهد التي تدعم هذا الرأي، فسواء أكانت هذه المعتقدات مفسرة للواقع في صدقها، أو كذبها فإنّها تظل منطلقة من ذهنية واحدة مهما اختلفت التبريرات التي ترسخت عبر الأجيال[1]

أما المعتقدات الثقافية في المجتمعات، فقد نتجت من خلال العلاقات الاجتماعية، والتصور للحياة القوة المخيفة لأسبابٍ منها: التراكم الاجتماعي للعادات، والتقاليد، والأعراف، فأصبح المعتقد الثقافي هو القوة الآمرة التي أخذت طابعا روحيا مقدّسا، حُمِل من أفكار قديمة، وهناك الكثير من المعتقدات الثقافية التي تضم أفكارا وشعائر وطقوسا، ترتبط بالعالم فوق الطبيعي، يؤمن بها المجتمع من بداية التنشئة الاجتماعية للفرد من خلال حكايات الكبار، والآباء للصغار، وإدخال عنصر الجن، أو كائنات فوق الطبيعة للتخويف، حتى تمنعه من الاستفسار، أو الخطأ، ثم إدخال السحر، والشياطين، لتأثيره في نفسية الأفراد إذا ما زلَّت أقدامهم عن شيء معين، وبخاصة إن لم يتحقق الهدف، هذا وقد بيع عظم طائر الهدهد لجلب الرزق وتصليح الأحوال، وهذه معتقدات سحر، ثم إن هناك معتقدات ثقافية تمنع الحسد، والعين والسحر عند بداية الزواج، أو الخِتان، أو الولادة، وذلك ما كانت تعمل به النساء، وحتى المس من الشيطان، مثل الكف، والفنجان، وعلاقته بالرزق، والحياة[2] .

---

[1] الاشقير ، عبد الرحمن: معتقدات شعبية في الحياة اليومية ، المشراق ،جريدة العرب الاقتصادية الدولية ،25 كانون ثاني 2018.

[2] –سليمان ،وليد: معتقدات شعبية في حياتنا اليومية ، جريدة الرأي الأردنية ،3–8–2005.

ويرى علماء الاجتماع أن وجود مثل هذه الخرافات واستمرارها بين الناس من جيل إلى جيل بين الجهلة والعوام، له أسبابه الخاصة، مثل لجوء الأزواج، أو غيرهم للبحث عن أي علاج عند فشل العلاج الطبي، أو وجود مرض عضال، أو الحكة في كف اليد التي تشير إلى وجود أموال في الطريق، أو تعبئة كوب الماء، أو الشاي حتى حافته، أو كله دليل على الكراهية، أو الألوان كالأزرق الذي يرد العين، أو إطعام المرعوب دجاجة سوداء فيذهب عنه كل الرعب، أو عدم قتل القط، أو الكلب الأسود، أو الأفعى باعتبار أنها جن، فلا يلحقوا بها الأذى ليلا[1].

ويعدّ الدين أحد هذه المعتقدات، فالنبي محمد (صلى الله عليه وسلم) نهى عن قتل الكلب الأسود، والأفعى السوداء، لتشبهها بالجان، أو المشي على المقبرة، فاتخذ بعض الناس ذلك دليلا على عدم المشي ليلا؛ لأن أشباح الموتى تخرج على شكل جنية تتلبس من يمر، وكل من يمشي ليلا بمفرده يتخيل جنا يطارده، فيزداد رعبا فلا يمشي إلا بصحبة صديق، واعتقاد أن الغناء في الحمام تجمع الشياطين، والاعتقاد بتبخير البيوت لطرد الجن والشياطين، وأن الجن يقتل الإنسان كما يقتل الجمل، وضع خرزة زرقاء، أو عرائس في السيارات، أو على صدر المولود خوفا من العين، وتعليق العروس عجينة لباب البيت حتى لا تتطلق، حتى تلتصق في هذا البيت، وتبقى سببا في استمرار الحياة، وهناك عبارات أصبحت تكتب على مداخل البيوت، والسيارات اعتقادا من الناس أنها مهمة لرد العين، كرسم على الجدار الكف باللون معين، أو رسم خنجر في وجه إنسان، أو تعليق بيضه فارغة، أو حذوة حصان لرد

[1] وفا: المعتقدات الشعبية الفلسطينية، وكالة الانباء والمعلومات الفلسطيني،2020.

العين أو كتابة بعض العبارات مثل: (الحسود لا يسود، عين الحسود فيها عود، الملك لله، وهذا من فضل ربي)، أو حرق الأوراق المكتوب فيها البسملة، والتبخر فيها من الصرع، والعين، والسحر، أو ذبح الذبائح على مقدمة السيارة الجديدة، ورش الملح على العريس خوفا من الحسد، أو غمس اليد بدم الذبيحة وطبعها على الباب، أو تسمية المولود بغير اسم مولود مات، أو صاحب عاهة، وهذا اعتقاد بأن الطفل سيعيش[1] .

وهناك معتقدات أوروبية كالدق على الخشب لرد العين، إذا تطفل أحد الناس على اعجاب بآخر، وهذا الاعتقاد أصله، أوروبي من القرون الوسطى؛ إذ كان الناس يعتقدون أن الأرواح الشريرة موجودة في جوف الأشجار وتسكن فيها وعندما تقطع، وتتشكل في الأثاث فعند طرق الخشب تهرب هذه الأرواح الشريرة، ثم هناك الخوف من دخول على الميت لمن به عاهة، أو مرض خوفا ليأخذه معه، أو الضحك كثيرا فسيحصل له مكروها، ويقول اللهم اجعله خيرا، أو مناداة أم في إبريق من الفخار على ابنها الغائب فيسمع ويلبي الطلب ويعود، أو طاسة الرجفة للخائف؛ وهي وعاء من الفضة، أو النحاس مكتوب عليها آية الكرسي تستخدم لمن أصيب بخوف شديد فيشرب منها ويشفى بإذن الله. أو إرسال هدايا للأولياء الصالحين ليتبركوا بكراماتهم، وينذرون ويذبحون عند قبورهم، وهناك اعتقاد برش الماء وراء المسافر ليعود سالما، أو كسر إبريق من الفخار وراءهم ليذهب ولا يرجع، أما إذا انكسر صحن، أو كوب من الفخار في البيت فإنّه ينذر بمصيبة فالأصل كسر صحن وراءه[2].

---

[1] وفا :المعتقدات الشعبية الفلسطينية، وكالة الانباء والمعلومات الفلسطيني،2020.

[2] –قلقيلة تايمز :المعتقدات الشعبية في فلسطين ، قلقيلة تايمز، كانون الثاني، 2020 .

اعتبر كثير من الدارسين أن هذه المعتقدات تقيد الذات الإنسانية في وقت مبكر للإنسان وتصبح صعبة لتغيرها مستقبلا؛ لأن الكثير من معتقداتنا الثقافية، والشعبية، والدينية، هي مقيدة ويعرفها الكبار والصغار في شتى البيئات، حتى يمكن أن يقيسها الإنسان على نفسه بالرغم من أنها معتقد ليست حقيقة، فكيف بها لو كانت صحيحة وواقعة بين الناس؟ لكانت أعاقتنا عن القيام بكثير عن أشياء نحبها ونرغب فيها، ويصبح لدى الإنسان خوفٌ وكسلٌ وعجزٌ حتى لا يعمل ما يريد [1].

[1] أندراو: ما هي المعتقدات المقيدة للذات ،العربية ، الحادي عشر من تموز 2018.

المطلب الثاني: الأيديولوجيا في روايات عوض

المقدمة

يتناول هذا الفصل الملامح الأيدولوجية في روايات أحمد رفيق عوض، التي تراوحت في مستويات مختلفة، فالروايات التي تنوعت في موضوعاتها الاجتماعية، والسياسية، والثقافية، تناولت العديد من القضايا بمواقف أيديولوجية متنوعة، تناسبها من حيث الوعي الراهن بالتاريخ كمادة مناسبة لاستعادة الحاضر، وقد كشفت عن وعي واطلاع كبيرين على الواقع الفلسطيني، سواء من حيث البناء الاجتماعي، وتعدد التوزيعات الخاصة بالشرائح الاجتماعية، أو الطبقة الاقتصادية التي ينتمي إليها الفرد، فالأحداث الفلسطينية التي رافقت الشخصية الفلسطينية أسهمت في صقل ملامحها؛ حيث دفعته مرة إلى الإحباط، ومرة أخرى إلى الأمل، وجعلته داعية للتاريخ مرة، وأخرى متجردا منه، وعبر هذه التجليات المتنوعة والمختلفة، وقد أبرزت نصوص الروايات هذه الشخصيات في عوالمها المختلفة.

إن كثيراً من المبدعين- والقراء أيضًا- أصحاب مواقف أيديولوجية تجاه كثير من القضايا اليومية، والسياسية والاقتصادية والاجتماعية، وهذا أمر طبيعي، بل ومهم، فلا بد أن يمتلك الكاتب، أو القارئ موقفًا ما تجاه ما يحدث حوله، بشرط ألا تكون مواقفه محكومة بأيديولوجيا ثابتة وجامدة، وإنما يجب مراجعتها من وقت إلى آخر؛ لأن التغيير سنة كونية، فمتى ما كانت المواقف دوغمائية[1] فهي تنعكس على الشخص، سواء أكان مبدعًا أَمْ قارئًا؛

[1] الدوغمائية: هي حالة من جمود فكري عند الأشخاص، حيث يتعصب فيها الشخص لأفكار خاصة لدرجة رفض الشخص الاطلاع على الأفكار المخالفة، وإن ظهرت لهُ الدلائل التي تثبت لهُ أن أفكارهُ خاطئة، سيحاربها بكل **ما** أوتي من قوة، ويصارع من أجل إثبات صحة أفكارهِ وآرائهِ، وتعتبر حالة شديدة من التعصب للأفكار والمبادئ والقناعات.

لأنهُ – حتى القارئ – قد تتحكم دوغمائيته في تصنيف ما يقرأ من روايات، تجعله يحكم مبكرًا على عمل روائي فني متجاوز بالفشل، فقط لأنه لا يتفق مع أيديولوجيته، ومع رؤيته المسبقة، وهذا يحرمه فرصة اتساع أفق رؤيته وتجديدها.

فرواية العذراء والقرية، بوصفها رواية تاريخية تتحدث عن فترة الحكم الأردني للأراضي الفلسطينية، التي امتدت من العام 1948– 1967[1]؛ يتناول الكاتب هذه الفترة من خلال التعبير عن الموقف الأيديولوجي للعلاقات الاجتماعية، وللعلاقات الخاصة بمنظومة السلطة، فمن الواضح أن الكشف عن موقف الكاتب من الإقطاعية الفلسطينية، أسهمت في تشكيل صورة الهوية الفلسطينية بشكل عام، ويستند أحمد رفيق عوض على التنويعات الفنية للرواية، محولا شريحة اجتماعية كاملة في زمن الرواية إلى شخصية واحدة، تستطيع أن تلخص الميزات كافةً، التي تمتعت بها تلك الشريحة، فسليمان الهراوات شخصية اقطاعية تتعاون مع رئيس المخفر في التهريب داخل الأراضي المحتلة من أجل تكديس الثروة، على الرغم من أن سكان الخلجان كافة يعانون الفقر؛ حيث رمزت هذه الشخصية إلى الطبقة الفلسطينية الفاسدة المغتربة عن زمانها ومكانها الفلسطينيين[2].

لم ينس رفيق عوض أن سلم السلطات الذي ساد فترة ما أرّخت له رواية العذراء والقرية، لم يكن محصورا بالاقطاعية الفلسطينية فقط، فاستحضر شخصية أبي فيصل التي لا تقل رمزية عن الهراوات، وأبو فيصل رئيس المخفر الذي يمثل رمزية السلطة الفاسدة من خلال استغلال عمله في التعاون مع المهربين، بالإضافة إلى العلاقة الشاذة مع رسمية، وبعبارة

---

[1]. الخواجة، علي: جوائز الفحم، ص: 42.

[2]. العذراء والقرية ، ص: 137.

أكثر تجريد فإنّ الكاتب عبر عن انتقاده لمنظومة السلطة التي حكمت في تلك الفترة، التي لم تراع إلا المصالح الشخصية لها.

ومن المواقف الأيديولوجية التي دلت عليها الرواية من خلال الدراسات التي تناولتها ما توصل إليه الدكتور علي الخواجا، من أن رواية العذراء والقرية تعبر عن البعد القومي والعربي، فالبداية التي كانت في قرية الخلجان المتخيلة غرب جنين امتدت لتلامس الوجود العربي في الكويت والعراق والأردن[1]، وفي إجابة عن المقولة الكبيرة التي أرادها عوض عن روايتهز: إن سبب الهزيمة العربية لم يقتصر على الفساد الداخلي في فلسطين، بل يصل إلى تلك الأمكنة العربية التي تحمل جزءا من هذه الهزيمة.

ومن المواقف الأيديولوجية على الصعيد السياسي في روايات عوض، ما كشفته رواية آخر القرن، التي كتبت لتوثيق المرحلة التي لحقت باعتراف منظمة التحرير الفلسطينية بالكيان الصهيوني وتوقيع اتفاقية أوسلو، فتصور حجم الهزيمة التي يشعر بها المفاوض الفلسطيني نتيجة للإحساس بالعجز وعدم التكافؤ، بالإضافة إلى التناقضات التي وجد الفلسطيني نفسه داخلها بمجرد أنه انخرط في هذا السياق الذي لا يستطيع صناعته.

ففي هذه الرواية، يظهر عوض موقفه من مفاوضات أوسلو، من خلال اختيار المكان والزمان اللذين شكلا مسرح اللقاء بين محمود السلوادي – المفاوض الفلسطيني– وحاييم، فبينما كان حاييم يمجد شهر حزيران، كان السلوادي يستذكر الهزيمة التي أطاحت بالعرب في هذا الشهر، ليرد عليه الأول نحن ننتصر في كل وقت[2]

---

[1]. خواجا، علي: جوائز الفحم،ص: 42.

[2]. آخر القرن، ص:15.

إن الموقف الأيديولوجي السياسي من تصوير الكاتب لحدث مثل هذا الحدث، يعبر عن حالة الرفض الخاصة بأوسلو، ليس على المستوى العاطفي المنجر وراء شعارات عامة، بل يكشف عن وعي الكاتب في الإطار السياسي العام، وفنون العلاقات الدولية الخاصة بالمفاوضات، كشكل من أشكال الحرب الباردة، إضافةً إلى وعي كبير في آليات الضبط والتعقب الاستعماري في فلسطين، فرفض أحمد رفيق عوض للمفاوضات لم يكن موقفا ارتجاليا، بل أوصل القارئ إلى تكثيف الصورة داخل حجرات التفاوض المغلقة، ولم يبق على أي صاحب بصر إلا الحكم بعدم التكافؤ، الذي يحتم على الفلسطيني رفض تلك المعركة غير المتكافئة.

لم يهمل رفيق عوض تحولات الشخصية الفلسطينية، فالسلوادي الذي كان أسيرا في عام 1989، صار مفاوضا للاحتلال على حقوق الشعب الفلسطيني من خلال ما يتمتع به من براغماتية سمحت له أن يتقلد هذه المهمة، فالشخصية كانت محورا مهماً في التعبير عن الموقف الأيديولوجي في رواية آخر القرن، كما أن رواية آخر القرن، وقفت موقفا أيديولوجياً من تعرية الذات، وذلك من خلال التقرير الذي أدرجه الكاتب في الرواية كأحد تقنيات السرد التي اعتمدها، فقد أظهر في أكثر من موضع، أن التنظيمات الفلسطينية مخترقة من خلال جهاز (الشين بيت)[1] فكانت جل المعلومات التي احتواها التقرير من خلال عناصر تم زرعها في التنظيمات الفلسطينية، وهذه الشفافية العالية التي امتاز بها نص عوض يعد موقفا أيديولوجيا من الذات.

[1] الشين بيت : هو جهاز الاستخبارات الداخلية في إسرائيل خاضع مباشرة لرئيس الحكومة.

وفي المجال ذاته يراوح الكاتب عن تصور القيادة لذاتها، فالسلوادي يروي أن القيادة في غزة طلبت منه أن يسمع للنهاية، وهنا فعل السمع لا يخلو من شحنة عالية من تجليات الهزيمة التي رفضها عوض؛ فيقول على لسان السلوادي: " قالت لي القيادة في غزة: عليك أن تسمع إلى النهاية!! أحببنا ذلك أم كرهنا، فنحن نتفاوض مع المحتل، والتفاوض يفترض وضع كافة البدائل والاحتمالات[1]".

أما كون الرواية فعلاً أيديولوجياً، فقد كان لموقف عوض من أوسلو مستويات عدة من الرفض في رواية آخر القرن، ففي أحد الحوارات يصل الاعتراف إلى أوجِه صريحة، وكأن عوض يلقن الشخصية أن تقول رأيها الأيديولوجي من المفاوضات، فعن ضعف الفلسطيني في هذا المجال يقول السلوادي لصديقه فارس العبد، عن عمله بعد التوتر، الذي ظهر عليه:" أخباري يا عزيزي تتلخص في أني أفاوض الإسرائيليين وقد أفقع يوما، في أثناء المحادثات، من الصعب على الضعيف أن يفاوض، أو يجري مفاوضات ناجحة"[2]

فمن الملاحظ هنا أن الموقف الأيديولوجي جاء مضمنا في الحوار بين الشخصيات، وهو الإحساس بعدم الجدوى من المفاوضات، ويعود السلوادي في موضع آخر، كاشفا هذا الإنكسار والإحساس بالعدمية من خلال حديثه مع نفسه عن التفاوض مع الإسرائيلي على أنه مرير، وبلا أي جدوى" التفاوض مع الإسرائيلي مرير ومقلق ومفاجئ، ومثير للسخرية والعجب، هو مرير؛ لأنه يدور لساعات عدة دون جدوى، وبلا هدف أيضا[3]"

---

[1]. آخر القرن، ص: 10.

[2]. آخر القرن، ص :81.

[3]. آخر القرن، ص :68.

هنا تتكشف مستويات جديدة من التعبير عن الرفض الأيديولوجي لدى عوض، فالرفض يكون لفظا، أو اعترافا، ومرة يكون سلوكا وانعكاسا لدى الشخصية، وأحيانا يكون مضمنا في تقنيات الرواية، سواء أكان في السرد، أو الحوار، إن الاتكاء على تقنيات الشعر يلبس عوض ثوب محمود السلوادي ليقول لنفسه وللآخرين كل ما يخطر بباله عن أوسلو، ويرى حسن قطوسة، أن القناع الذي ارتداه عوض من الشعر، هو قناع إيجابي وفاعل، يُسهم في إيصال الرؤية الفلسطينية إلى مستوى الوعي والأدب[1].

لم يكتف أحمد رفيق عوض بذلك فقط، بل جعل من الشخصية ذاتها حالة تعبر عن الجماعة من خلال التلاعب في مستويات الهزيمة الفردية والجماعية، فهو لم ينس أن محمود السلوادي يمثل الفلسطينيين، أو شريحةً منهم على الأقل فيقول: أنا لا أشعر بنفسي أنني محمود السلوادي فقط، بل أشعر أنني جماعة مطعونة بشرفها الشخصي، وإنني للحظات كثيرة، وأمام حاييم شلومو بالذات، أشعر بهول مصيبتنا وعارنا يوم سقطت بغداد أمام جهلة غوغائيين[2]

من خلال هذه المراوحة بين الفرد والجماعة، يمكن الأيديولوجيا الشخصية للكاتب بألا تتهم المفاوض بصفته الشخصية، بقدر أنه لا يرغب في تبرئة المفاوض بصفته مفاوضا، فالسلوادي الفلسطيني العادي لا يتأخر في العودة إلى وجوده الجماعي وإحساسه بالهزيمة، على الرغم من كونه قد عاش تحولات الشخصية الفلسطينية من المقاوم إلى المفاوض، ومن خلال ذلك يكشف عن سقوط البطل الأسطوري في الأدب الفلسطيني كما أقر الكاتب نفسه في مقابلة مع صحيفة

---

[1]. قطوسة، حسن: ص: 27.

[2]. آخر القرن، ص :14.

الغد الأردنية؛ حيث يقول: "بعد أوسلو بدأ الأدب الفلسطيني ينتصر للبطل العادي، وربما المأزوم، والمهزوم، والمتردد، والخائف، بعيداً عن البطل الأسطوري، والسوبرمان[1].

لم يخلُ نص عوض من الناحية الأيديولوجية من التعامل مع الشخصية أن تكون ذات استشراف للمستقبل، فالتحذيرات التي أطلقها الكاتب على لسان محمود السلوادي، صارت جزءا من معاناة الفلسطيني في الوقت الحاضر، فالقراءة الأيديولوجية للمفاوضات، تحولت من البحث عن الاستقلال والحرية التامة؛ لتصبح بحثا عن بعض الاستحقاقات المالية والاقتصادية، ومن خلال ذلك يمكن الكشف عن ماهية الرواية التي صارت تحمل وظائف البيان والتحليل السياسي الذي كان يراه الكاتب، ولم يره السياسي الفلسطيني في زمن المفاوضات حتى الآن " إياك أن تحبه ... إياك أن يأكلك... إياك أن يضبعك ... إياك أن ينزلق بك الحديث مع المفاوض الإسرائيلي إلى الحديث عن الامتيازات التجارية، أو المالية[2]"

قدم عوض بعض الشخصيات في الإطار المقاوم مثل شخصية محمود السلوادي، التي كانت في الأنتفاضة الأولى شخصية مقاومة، إلا أن التحولات التي طرأت على القضية الفلسطينية بشكل عام، فعلت فعلها في شخصية محمود السلوادي؛ حيث أصبح شخصية مفاوضة، ترى الواقع من باب الهزيمة، وهنا يبدو أن عوض أراد أن يحذر من هذه التحولات التي شكلت صعقة للمد الثوري والأمل الفلسطيني.

إنَّ علاقة الكاتب مع السلطة في المواقف التي تم ذكرها تعبر عن حالة من الرفض والسخط من القبول بالهزيمة، إضافةً إلى تحميل المسؤولية للمستفيدين من النظام، ليسوا كونهم

---

[1]. صحيفة الغد. عوض: الادب الفلسطيني بعد اوسلو ابتعد عن البطل الاسطوري، حاوره يوسف الشايب، 2011/7/25. https://alghad.com/ (استرجع في 2021/5/12).

[2]. . آخر القرن، ص: 77.

أفرادا بقدر أنهم جزء من منظومة من المصالح التي شكلت الهزيمة في "رواية العذراء والقرية" وفي "آخر القرن" .

أما عن أشكال السلطة الأخرى التي تناولها عوض أيديولوجياً، فكانت السلطة الدينية في رواية العذراء والقرية؛ حيث إن الشيخ سعد الدين آمن بالانقطاع عن الناس وبالسحر، ومن الناحية الأيديولوجية يبدو أن تشخيص عوض للتيار الديني في تلك الفترة، لأنَّ التيار الديني كان أسيرا لتصورات كلامية، وترهات اجتماعية، إضافةً إلى الجمود الفكري الذي مثله التلميذ أحمد بن السعود، من خلال التقليد الأعمى لشيخه سعد الدين، فالموقف الأيديولوجي للكاتب يتميز بحالة من السخط على الجمود الفكري، الذي لا يراعي طبيعة الزمان والمكان، بالإضافة إلى الإحساس بعدم الوعي الكافي.

لقد حملت شخصية (رسمية) رمزية كبيرة؛ فهي الشخصية المحورية في الرواية التي تزوجت من ابن المهرب سليمان "خالد الهراوات"، التي اكتشفت بعد زواجها منه حقيقة عجزه الجنسي مما سمح لها بالانخراط في مجموعة من العلاقات غير السوية، فقد كانت على علاقة مع أبي فيصل رئيس المخفر، ومن هنا يتضح أن شخصية رسمية مثلت بعدا رمزيا لالتقاء نقاط الفساد المتمثلة برأس المال والسلطة، إضافةً إلى رمزية الدور الذي انتهت إليه الرواية بمقتلها على يد والدها[1]

يكشف الكاتب عن ملامح هذه الشخصية (رمزية الشهوة في الرواية) والخطاب الأيديولوجي المحيط بها، وعلاقاتها مع السلطة السياسية، وسلطة رأس المال في المحيط، فعلى الرغم من

[1] العذراء والقرية، ص :302.

كل محاولاتها للسيطرة على من يقابلها من خلال قوة الإغراء، إلا أنها تسقط في فخ الزواج من رجل عاجز جنسيا، ابن السمسار والتاجر المستغل، فالخطاب الروائي جاء محملا بمعان كثيرة عن علاقة المال بالسلطة، والفساد والرغبة في لقاء رسمية بأبي فيصل ليكتمل الفساد حول هذه الشخصية من حيث رأس المال والسلطة السياسية، والشهوة الاجتماعية؛ لتخرج كل مرة من فشلها محاورة نفسها أن جسدها هو الذي يحكم كل شيء قائلة: "إذن لأجرب جسدي[1]".

إنَّ الكاتب هنا يضيف الأيديولوجية الاجتماعية والشعبية التي تدعو إلى حفاظ المرأة على جسدها، الذي يمثل رمز عفتها وطهرها، فاستحضار تجريب الجسد هنا لم يكن لفظا فارغاً من محتواه، بل أنطوى على علامات سيميولوجية[2] كبيرة ومضمنة بكافة الحرمات الاجتماعية، والدينية التي ينطوي عليها الجسد.

إنَّ الرواية هنا تكشف عن موقف أيديولوجي يستطيع تناول المرحلة بوعي الطبقات الاجتماعية والسياسية لتلك المرحلة، إضافةً إلى الإصغاء لأيديولوجية التاريخ الشعبي، الذي لا يستمع إلى الروايات الرسمية فحسب، بل ينصت في تشكيل الرواية إلى الطبقات المهمشة داخل المجتمع، وتصل ذروة هذا الموقف إلى أعلى مستوياتها عندما تمكن الفلاح البسيط من قتل رسمية؛ حيث شكل قتلها على المستوى الرمزي الانعتاق من نقاط الخضوع كافة بأدوات السلطة الفاسدة، التي يجب على الإنسان العادي الإفلات منها.

---

[1] العذراء والقرية. 131.

[2] سيميولوجيا، أو السيميائية، معناها اصطلاحاً علم الإشارات، أو علم الدلالات.

لقد شكلت شخصية خالد الهراوات (كونه زوج رسمية العاجز) الذي يعمل في القلم السياسي، أدى به العجز الجنسي إلى حقدٍ كبيرٍ على من هم أضعف منه، فما كان منه إلا أن شارك في قمع المتظاهرين، وهذا التصور هو تجل آخر عن العجز السياسي بشكله الرمزي[1]

وعلى الرغم من امتلاك خالد للإرث الإقطاعي الذي مكنه من الحصول على الكثير مما أراد، إلا أن ذلك لم يحمه من أن يصغر أمام رسمية، التي تلبي حاجاتها خارج فراشه، وهذه الرمزية الشفافة الواضحة التي ارتكز عليها الكاتب لم تك رمزية عبثية، بل كان لها دور في فهم البنى الاجتماعية في تلك الفترة، وكان الكاتب يقف دور الحكم من تلك الفئة التي لا يرى لها سوى الاضمحلال والتلاشي.

في توظيف الأديب عوض للأيديولوجية السياسية التي اعتمدها في أعماله، يظهر مؤرخاً لفترة من العصر الإسلامي العباسي في رواية (القرمطي)، التي أشار إليها عوض، وزمانها يمتد إلى عصر المقتدر، فقد أشار حسن قطوسة إلى أن زمن الرواية المسرود في أحداثها يقع بين عامي 295هـ-320هـ[2]

إنّ الكاتب يستحضر تلك اللحظة التاريخية للضعف الإسلامي كحالة مشابهة، بل يمكن أن تكون مطابقة لزمن الكتابة، فبينما كانت الخلافة الإسلامية تعاني تهديدات القرامطة من سلب ونهب ومحو للهوية، كانت الأمة العربية والاسلامية قد تركت القدس للصهاينة.

---

[1]. العذراء والقرية، ص: 207.

[2]. قطوسة، حسن: ص : 35.

يمكن اعتبار رواية (القرمطي) من روايات المتخيل التاريخي وفق مفهوم الناقد العراقي عبد الله ابراهيم، الذي يرى أن الانقطاع عن الوظيفة السردية للحدث هي اللبنة الأساسية لهذا النوع الفني من الأدب، بالإضافة إلى اكتسابه دوراً خاصاً من خلال استحضار الماضي وتشكيله ركائزَ مفسرة لأحداثه، وبذلك تكون رواية المتخيل التاريخي قد خرجت من إطارها التاريخي، وجعلها تحمل في طياتها فترات تاريخية مقيتة، إلى نص أدبي يضم بين طياته العناصر الفنية المعاصرة للرواية[1].

وفي تعليق الباحث يوسف رزقة على هذه الرواية، أشار إلى أن الزمن في الرواية ظهر في شكل مختلط، وذلك من أجل إبراز هذه القصة التي ترويها الرواية بين دفتيها لا تعني أحداثا جرت وانتهت، بقدر ما هي إلا حالة من الاستمرار الذي يجعلها تحدث في الزمان والمكان الراهنين بأسماء جديدة[2]، وحول رهنية هذه الرواية وتمردها الفعلي على زمنها ومكانها الموجودين في النص، وقد أشارت الباحثة معالي شاهين إلى إهداء الكاتب الذي جاء فيه إلى من يقاتلون القرامطة، إلى الآن، وختمت الرواية بعبارة الرواية مستمرة[3].

أما فيما يخص دراستنا فإنّ هذه المؤشرات العديدة تؤكد على راهنية هذه الرواية، وأنها محملة بالكثير من الإشارات الأيديولوجية، التي تمثلت في رفض الكاتب للهجمة الشرسة التي تشن على الهوية العربية، والإسلامية كتلك التي شنها القرمطي في زمن المقتدر.

وهنا يمكن القول: إن الكاتب ظهر بشخصية واقعية، فعلى الرغم من أنه يرى أن القرمطي وأتباعه في ضفة الشر، وأنه ظهر بميله إلى دار الخلافة وعلمائها، إلا أنه لم ينحز أبداً إلى

---

[1]. https://pulpit.alwatanvoice.com/articles/2016/03/15/397319.html (استرجع في 2021/5/14).

[2]. رزقة، يوسف: بنية الخطاب في رواية القرمطي، مقارنات نقدية جمع: علي خواجة.

[3]. شاهين، معالي سعدو: البنى السردية في رواية احمد رفيق عوض: القرمطي وعكا والملوك نموذجا،2017. ص11.

دار الخلافة دون عقل، فقد وصف القرمطي والمقتدر، أنهما شابَان الأول ملأ قلبه بالوهم، والثاني بالهدف، وشتان ما بين القلبين، وكأنه أراد أن يقول: إنّ الباطل صاحب الأتباع المخلصين، أقوى من الحق الذي له أتباع ضعفاء، فالقرمطي السفاح الذي يقتل وينهب، استطاع –ولو للحظة– تحقيق الانتصار على المقتدر الذي ظل صاحب قلب وموقف ركيكين، أما الموقف السياسي الأيديولوجي الذي أرداه عوض من الرواية، فقد كان في تلك النهاية المأساوية التي تعرض لها القرمطي حين يموت وحيدا.

لقد تشعبت الإجابات الأيديولوجية حول أحقية الحكم بين نقده لشخصية الخليفة الضيقة، وتدخل العنصر النسوي والخيانة التي جاءت من الأجناس الخارجية[1]، وقد ظهر ذكاء عوض بشكل كبير في حالة مقارنة النص مع السقطات السياسية التي لحقت كتابة الرواية التي كشف عنها هجوم قرمطي جديد.

روى ابن الأثير في سبب ردّه: "أنَّ عبيد الله المنعوت بالمهدى القائم ببلاد المغرب والمستولى عليها كتب إلى القرمطى ينكر فعله ويلومه ويلعنه، ويقول أخفقت علينا سعينا وأشهرت دولتنا بالكفر والإلحاد بما فعلت، ومتى لم ترد على أهل مكة ما أخذته وتعيد الحجر الأسود إلى مكانه وتعيد كسوة الكعبة فأنا برىء منك في الدنيا والآخرة. فلما وصل هذا الكتاب أعيد الحجز إلى مكة شرّفها الله تعالى"[2].

---

[1]. القرمطي، 35.

[2]النويري ،أحمد بن عبد الوهاب شهاب الدين:(1423) هـ، نهاية الأرب في فنون الأدب،ط:1 ،دار الكتب والوثائق القومية،القاهرة 304/25.

وقيل: إن الذي هددهم هو الخليفة العزيز بالله الفاطمي. وابتلي عدو الله أبو طاهر الخبيث بالأكلة، فصار يتناثر لحمه بالدود، وتقطعت، أوصاله وطال عذابه حتى مات، وقيل: إنه هلك بالجدري في رمضان سنة 339هـ.

وعلى الصعيد الأيديولوجي، كان عوض واعيا للمتغيرات كافةً التي يمكن للفلسطيني أن يتأثر بها؛ فذلك المطارد في جبال رام الله هو ذاته الذي يقع الآن فريسة سهلة بين يدي حايم، علاوة على الإشارة إلى أهمية الوعي؛ إذ إن العلم باللغة، أو الجهل بها شكَّل علامة فارقة في اللقاء التفاوضي، أو مثل ما قدمت شخصية محمد الحامض الذي كان في الانتفاضة الأولى يساريا، ثم أنخرط في العمل مع المؤسسات غير الحكومية، التي شكلت ولادة طبقة اجتماعية واقتصادية في المجتمع الفلسطيني، الذي وصفه الكاتب على لسان أحد الشخصيات" فمن المطاردة في جبل الذيب إلى المفاوضة في جنيف وباريس، إلى دراسة الماجستير في برلين، إلى العمل في المنظمة غير الحكومية، إلى المنصب الاستشاري في شركة أنتر آكشن..، وهذا التحول للمقاوم اليساري ينم عن عمق الرؤية لدى عوض في المجتمع الفلسطيني، فبينما كان أبناء فتح ينخرطون في مؤسسات السلطة وشرائحها الوظيفية والاجتماعية التي طرحت، كان أبناء اليسار الفلسطيني يندفعون إلى الحالة التي كان عليها الحامض، وهنا تبرز واقعية عوض في إبراز الموقف فهو يتناول واقعه بالتحليل، ووضع التوقعات التي صدقتها الأيام فالفساد الذي حذر منه في الرواية حدث وصار شكلا واقعا[1].

عندئذ رأينا ما عجزنا عن فهمه، وقد دهش الجميع من أنهم يهدمونها جزءاً جزءاً، ووقفنا نشاهد ما يجري من جنون حقيقي، كان الرجال يدمرون سفينتهم بكفاءة وسرعة.. كانوا يفعلون ذلك وهم يرددون صيحاتهم الشهيرة: الله أكبر.. الله أكبر

[1] شحروري، صبحي: مقاربات نقدية في روايات أحمد رفيق عوض، دار الماجد، رام الله،2004.

بالعودة إلى اللحظة التاريخية التي تم فيها كتابة النص، فإنّ الواقع الفلسطيني كان في جدل أيديولوجي حول معنى الجهاد والاستشهاد، لاسيما فيما يخص العمليات الاستشهادية، التي كان الفلسطينيون قد اتخذوها طريقا للتعبير عن رفضهم أي شكل من الوجود الاستعماري، حتى لو كان المقابل الحياة، ويذكر عوض في عكا والملوك عملية استشهادية من زمن صلاح الدين من خلال حادثة السفينة التي دمرها المسلمون بعد حصارهم، وقد كانت قادمة لفك الحصار عن عكا، وكأنها ذاتها التي جاءت زمن الكتابة لفك الحصار عن غزة؛ فيقول عوض على لسان الفرنجة في سرده للحدث " عندئذ رأينا ما عجزنا عن فهمه، وقد دهش الجميع من أنهم يهدمونها جزءا جزءا، ووقفنا نشاهد ما يجري من جنون حقيقي، كان الرجال يدمرون سفينتهم بكفاءة وسرعة.. كانوا يفعلون ذلك وهم يرددون صيحاتهم المشهورة: الله أكبر.. الله أكبر ، فاللحظة المكثفة من الفداء و التضحية في زمن صلاح الدين، أو في الزمن الحاضر تتشابهان في الظروف والعوامل كافة التي تسهم في صناعتها لتصبحان لحظة أيدلوجية عالية الإيقاع في نص الكاتب[1]

[1] عكا والملوك ،ص:34.

المبحث الأول: الأيديولوجيا الدينية

إن الايديولوجيا في بدايتها الأولى قُدِّمت على أنها علم الأفكار، أي علم يسلك إلى دراسة الأفكار بواسطة المنهج العلمي البحت، وذلك باتباع قوانين علمية تنطلق من التجربة والملاحظة حتى تصل إلى نتيجة محددة ، وذلك ما يقودنا إلى استخلاص (دي تراسي) لفكرة وجوب اتباع المنهج العلمي التجريبي في دراسة الفكر وإخضاع الأخير لمخبر التجارب العلمية، ومن ثَمَّ دعوته للدراسة العلمية بما يحمله مفهوم الدراسة العلمية– من معاني إعمال العقل والصرامة في اتباع المنهج التجريبي لدراسة الأفكار.

ومن هنا يرى عمروي السعيد إنه "يتوجَّبُ على الأيديولوجيين دراسة الأفكار كما يدرس غيرهم الدورة الدموية" فهو يؤسس إذن لمفهوم الإيديولوجيا من خلال تقديم أهم مبادئها، وهو وجوب الدراسة العلمية للأفكار؛ أي إلزامية دراسة الأفكار وفق منهج علمي بين المعالم[1].

وترى الباحثة أنَّ النص الروائي عند أحمد رفيق عوض لم يخلُ من الأيديولوجيا الدينية، فهو يُعيد فَهم الدين وَفق رؤيته أو فكرته التي يريد أن يبثَّها نصَّهُ من منطلق أن الدين علاقة بين الإنسان و (الله) ثم هو أيضا علاقة بين الإنسان والإنسان في سُبل التعايش معًا والتشارك في الأرض والوطن والمجتمع.

ومن خلال ذلك فإن الكاتب يأخذ الدين ضمن فكره وأيديولوجيته في حقل فسيح من الاختبار والتفاعل والمعاينة، أي اختبار تلقِّي هذه الأيديولوجيا من قِبَلِ الآخر (المُخاطَب)

---

[1] يُنظر: الأيديولوجياو الخطاب و النص – نحو مقاربة مفاهيمية، عموري، السعيد، جامعة قاصدي مرباح، العدد 18، أيلول، سنة 2013 م، ص: 138 .

وتفاعله معها، ثم معاينة استجابة ذلك المتلقي لهذه الأيديولوجيا التي يطرحها الكاتب وذلك يتجلى بوضوح تام من في هذه الممارسة التي يخوضها الكاتب أحمد رفيق عوض في روايته "آخر القرن" في هذا الحوار بين محمود السلوادي المفاوض الفلسطيني ونظيره حاييم الإسرائيلي:

"....هل تذكر أول مرة التقينا فيها، كيف حال ابنك صلاح الدين؟

رد محمود من بين أسنانه، إنه يسألني دائما.. لماذا لا يستطيع العرب صنع حاملة طائرات؟

سأل حاييم: وبماذا أجبته.. إذا سُمِحَ لي أن أسأل هذا السؤال!

رد محمود: قلت أن كل شيء بوقته كما يقول المثل... حكمة الشرق تعتمد على الزمن أكثر مما تعتمد على العقل، وعلى الله أكثر مما تعتمد على التدبير.

توقف حاييم عما في يده، نظر بحدة إلى محدثة وقال: ماذا تقصد؟

ـ أقصد أن هناك مشاكل لا يحلها العقل ولا والتدبير.

كيف تُحلُّ إذن؟!

ـ بطُرق وبوسائل خارج التدبير والتخطيط"[1].

إن الكاتب يعرض هنا لأيديولوجيته وأفكاره الدينية التي يعتنقها ويؤمن بها، فالحوار قد أثير حول النصر وتحقيقه وأسبابه، وأنه لا بد من توافر هذا الأسباب بمعزل تماما عن الدين أو ما يؤمن به العرب! وقد عرض الكاتب لذلك في أسلوب شبه ساخر من خلال طرح

[1] عوض،أحمد رفيق:آخر القرن،ط2، صدرت عن دار الرعاة للدراسات والنشر، رام الله، فلسطين، 2014 م، ص: 16 – 17 .

هذا السؤال الذي طرحه الابن على والده (محمود السلوادي: (لماذا لم يصنع العرب حاملة طائرات؟!).

وقد جاء الجواب الساخر الذي ليس له أي محل من المنطق أو العقل! : (هناك مشاكل لا يحلها العقل والدبير – تعتمد على الله أكثر مما تعتمد على التدبير) فكأنها سخرية الكاتب من العرب والمواطن العربي الذي خيَّمت على عقله هذه الأيديولوجية الدينية التي رسَّختها الأنظمة العربية الحاكمة حول أي تأخر و تخلف في كل المجالات.

فالسبب هو أنه لم يَحِنِ الوقتُ بعدَ، رغم امتلاكهم لأكبر ثروات العالم من النفط والموارد والمياه وكل شيء تقريبا يجعلهم سادة العالم كما كانوا ذات يوم!، لكن تلك الموارد والمقدَّرات لن تنصرف بأية حال إلى إنتاج حاملة طائرات أو سلاح أو أي سبب من أسباب النصر المادي، بل إن ذلك منصرف فقط للحفاظ على الأنظمة العربية وبقائها على عروشها.

ومن هنا جاء الجواب الساخر على لسان محمود السلوداي أيضا في آخر الحوار؛ وهو أن كل شيء يعتمد على الله أكثر ما يعتمد على التدبير! إن الكاتب يعرض لتلك الأيديولوجيا الدينية للعربي، والتي يفضح بها تخلف العرب الذين ينتظرون نزول الله تبارك وتعالى من السماء إلى الأرض ليأذن بزوال المحتل والعدو من أراضيهم! فهذه هي الأيديولوجيا الدينية للعرب يكشف عنها الكاتب في هذه الرواية.

وذلك ما تُجلّيه بوضوح نظرية إيجلتون عن الأيديولوجيا والنص، إذ أنه يذكر أن الأيديولوجية ليست مجرد انعكاس للأنظمة الحاكمة؛ ولكنها تحليل للعلاقات الدقيقة التي تربط المجتمع بالنظام؛ وهذا يعني أن نحدد، بالضبط، علاقة هذه الطبقات بصيغة الإنتاج.[1]

ومن هنا نتبين الأيديولوجيا في كونها – كما تذكر حنين إبراهيم معالي – :"نظام من الأفكار التصورية يكمن خلف السلوك الاجتماعي أو الثقافي (الديني أو الأدبي أو الفني أو الفكري أو السياسي..)[2] ، فسلوك محمود السلوادي هنا معبر عن أيديولوجيته الدينية، وهي أن الله تعالى جعل الأفعال والأخذ بالأسباب سنة كونية بين العباد، فلن يجعل نصرا لأحد لمجرد أن ديانتهم الإسلام. لأن الله تعالى لم ينصر سيد الخلق وصحابته إلا بعد أن أخذوا للحرب عدتها، فأعدوا الجيوش وقاتلوا وقُتلوا فكان لهم نصر الله.

وهذا يعني أن الأيديولوجيا الدينية للشعب هي: نتاج أو صناعة وإرادة النظام لهذا الشعب، فبهذه الأيديولوجيا استطاعت الأنظمة العربية البقاء حتى الآن؛ لأنها أعادت صياغة الدين في عقول الشعوب وفق إرادتها هي وأهدافها وهي المتمثلة في البقاء المطلق دون إحداث أي ردة فعل أو اعتراض أو حتى الكشف عن مجرد الرأي والنقد؛ فالنصر في الرؤية الدينية عن الشعب، يعتمد على الله أكثر ما يعتمد على التدبير، وكأنه يخرج بهذه الجملة إلى الجواب حول عدم صنع العرب لحاملة طائرات.

لقد اهتم الإيديولوجيون – من خلال دي تراسي – بدراسة الأفكار في حال مثولها الواقعي بعيدا عن الغيبيات، الأمر الذي يفسر صبغتها المنهجية والعلمية، كما أنها اعتمدت

---

[1] Marocism and Literary. University of California press. 1976. Pp 6-7.

[2] معالي، حنين إبراهيم، البُعد الأيديولوجي في روايتي موسم الحوريات وأبناء الريح وأثره في البناء الفني، دراسات العلوم الإنسانية، المجلد 14، العدد 1، سنة 2017 م، ص: 108.

على الحقيقة الكامنة في تفسير الظواهر الاجتماعية فاستبعدت (الميتافيزيقا) وحاولت أن تُقيم العلوم الحضارية على أساس أنثروبولوجي وسيكولوجي[1].

ومن خلال ذلك فإن توجه الأيديولوجيا العلمي في جانبها التحليلي والانطلاق من الواقع من أجل استخلاص مادة التحليل، جعلها مرتبطة في نشأتها- بالنزعة المادية التي ظهرت في القرن الثامن عشر في فرنسا، فكان دي تراسي وجماعته من أنصار هذه الجماعة الفلسفية التي اقتفت أثار الفيلسوف الفرنسي (كوندياك)[2].

ولا شك أن ذلك فكان سببا في استلهام أفكارهم العلمية حول المنهج والتحليل.

وإذا نظرنا روايات أحمد رفيق عوض وجدنا أن تجسد هذا الاتجاه الواقعي في التحليل الأيديولوجي، فالكاتب ينزع دائما في تحليله إلى رصد الأيديولوجيا الدينية كما هي في الواقع، وكذلك رصدها عند المجتمع وتحليلها من خلال السرد والحوار في رواياته، ومن ذلك ما نلاحظه في روايته آخر القرن، التي تمثل الأيديولوجيا الدينية عند أحمد رفيق عوض، يقول الراوي:

"لماذا تبدوا كل هذه الأشياء متشابهة؟! متشابهة إلى درجة أني لم أعرفها يوما، ولم أتذوقها أو ألمسها أبدا، هذا كثير وكثيرٌ جدا...

تراب الأرض له من الأسرار مالا ينقضي، قالت خضرة.

تراب الأرض الناعم يفيد في الحمل.

تراب الأرض الأبيض يفيد مرضى النكاف.

---

[1] يُنظر: إبراهيم،زكريا:مشكلة الفلسفة،مكتبة مصر، الفجالة ، القاهرة، د. ط، د. ت، ص: 176 .

[2] المرجع السابق، ص: 180 .

تراب الأرض الرمادي يفيد في دفع البلاء...

قالت وماتت أو عادت ترابا، والمسألة عادية جدا هنا وفي كل مكان آخر، فلماذا تهول الأشياء"[1].

إنها رؤية الكاتب في الشعب الذي أقعده الدين عن أي عمل من أجر التحرير، أو العمل على ذلك بالأخذ بالأسباب، وهذه الأيديولوجيا الدينية وتلك الرؤية هي صناعة النظام وحجيَّته في وعي الشعب الفلسطيني خاصة والشعب العربي عامة، وهو أن الدين و _الله سبحانه وتعالى – هو وحده من لديه النصر وأسبابه وكل شيء، أما الشعب فليس عليه سوى التبرُّك بالآثار الدينية، والتراب الذي يفعل الأفاعيل – كما ترى خضرة على لسان الراوي.

وترى الباحثة أن هذه الأيديولوجيا الدينية هي صناعة الأنظمة المستبدة كما أشرتُ لأننا الدين في حقيقته لا علاقة له بها من قريب أو بعيد، إذ ان الدين له قوانينه وسننه في الكون، وهذه السنن هي سنن الكون نفسه الكائنة في العمل والسعي.

وإذا طلعنا سيرة النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام من الرعيل الأول في عهد النبوة وجدنا بوضوح أن الدين والإسلام لم ينتصر بأية حال مع القعود والتبرُّك بالرسول نفسه، وهو الكريم والعظيم المكانة والمنزلة عند ربه، ورغم ذلك كان يصف الصفوف للجيش ويقوده بنفسه في كثير من الأحداث، وكان للمسلمين في هذا الوقت فكرهم السياسي والعسكري وجهادهم بالسلاح والأخذ بكل أسباب النصر المادية.

---

[1] آخر القرن، ص: 51 .

وفي روايته بلاد البحر يتسق فكر الكاتب كثيرا مع الأيديولوجيا الدينية، وتأتي هذه الأيديولوجيا من منطلق جهل وغفلة الناس والشعوب، إذ هذه الغفلة وذلك الجهل هما أساس الأيديولوجيا الدينية الذي يريد الكاتب أن يعرض لا في رواياته، يقول في روايته (بلاد البحر) على لسان الراوي :

"اقرأ في كتاب أسرار الدولة هذا، وثبت أن أكثر الناس لا يعلمون، وأن أكثرهم لا يفقهون، ذلك أنه كلما كثر الناس كلما سهُلت عملية خداعهم، وقال قائل: لم تعد هناك جماهير، هذا وبرعت أجهزة الحكم المختلفة في صياغة الرأي العام وصب الناس في قوالب للطي والنشر "[1].

إن الكاتب هنا يصرح بأن الشعب وصل إلى مرحلة لم يعد له فيها كيان أ, وجود، بل إنه أصبح مجرد قطيع كبير أو مجموعة من الدُّمى أو عرائس الظل التي تحركها أيدي خفية في الظلام من وراء ستار خبيث، هذه الأيدي هي الأنظمة والحكومات المستبدة التي تمكنت من تطويع الشعوب العربية لها ببراعة فائقة، وإحدى هذه الطرق التي استطاعت الحكومات أن تستحوذ من خلالها على الشعوب هو الدين نفسه والأيديولوجيا الدينية التي مارستها الحكومات العربية على شعوبها حتى جعلتها لا تعرف ولا تفقه، وكلما كثُر الناس كلما جهلوا أكثر، لأن القطيع كلما زاد كلما خيَّم عليه المثول للحركة المُرادة منه وتلاشى تفكيره في هذا الزحام!

---

[1] عوض،أحمد رفيق:رواية بلاد البحر،ط1، الاتحاد العام للكتاب والأدباء الفلسطينيين، دار المناجد، رام الله، فلسطين، 2006 م . ص: 208 .

وقد خلُص الكاتب من هذا إلى عمق الأيديولوجيا الدينية في الموضع نفسه من الرواية نفسها – بلاد البحر – في قوله:

"قال قائل: إن خداع الجمهور وقيادته يحتاجان إلى أمرين لا ثالث لهما، فكرة سهلة التسويق، وتلفزيون ساحر، ودخلنا عصر الدهماء والغوغاء فأنتج ذلك زعماء تافهين يبيعون جماهيرهم أفكارا لا يقبلها جُعل مبهور ببرازه..

وقال قائل: الحكومة صارت أقوى ن الجماهير.

وقال قائل: نحن في عصر العقول المسطحة.

وفي القرآن الكريم ضرب مثلا.. فرعون الذي استخف قومه فجعلوه إلهًا لم يعبدونه، وفرعون هذا لم يكن لديه تلفزيون حكومي ولا وزارة إعلام ولا صُحُف ولا شبكات دعاية وإعلان.."[1].

إن هذه الفقرة من روايته (بلاد البحر) تمثل بوضوح الأيديولوجيا الدينية في أدب أحمد رفيق عوض، والتي تكمن هنا في ما أشرنا له من قبل، وهو تسلط الحكومة واستحواذها أو صناعتها للفكر الديني للشعوب، إذ أن الأيديولوجيا الدينية للحكومات تهدف إلى صناعة دين محدد للشعوب يمكن لتلك الحكومات من السيطرة والاستحواذ على شعوبهم أكثر دون أن تصدر منهم أي ردة فعل أو رفض لواقع سياسي جائر أو معارضة أو ثورة على الظلم والأنظمة المستبدة الفاسدة.

[1] عوض،أحمد رفيق:رواية بلاد البحر ، ص : 208 – 209 .

ومن خلال ذلك فإنهم يقدمون لهم الدين في ثوبه الجديد بواسطة الكثير من هذه الرموز المحددة التي تمت صناعتها أيضا على أعين الأنظمة من رجل الدين للدولة وغيرهم ممن يتكلمون في الدين باسم حكوماتهم لا باسم الله– عز وجل – ومتى ما نجحت الأنظمة في ذلك خضعت لهم الشعوب وذلت لهم رقابهم ومهما علا الفساد في الأرض يُرفع لهم صوت ولو بالدعاء عليهم!! فضل عن الرفض والخروج عليهم.

وهو يردُّ هذه الأيديولوجيا إلى التاريخ منذ القدم، ويستشهد عليها من القرآن الكريم، إذ أن هذه الأيديولوجيا الدينية هي ما كانت لحكومات من فرعون نفسه، الذي استخف قومه فأطاعوه، فظاهر النص يدل على أن طاعة قوم فرعون إنما هي نتائج الأيديولوجيا الدينية التي تمت ممارستها من خلاله على شعبه، فهي نتيجة حتمية لاستخفافه بهم حتى جعلوه إلهًا لهم يعبدونه هو من دون الإله الحق – الله سبحانه وتعالى – رغم انه فرعون لم تكن الأدوات نفسها، ولكنه كانت له أساليبه التي ناسبت عصره من السحرة ووزارة هامان، وقد ناب عن السحرة في العصر الراهن أجهزة إعلام الحكومات وما يقومون به بكل جهدهم لممارسة هذه الأيديولوجيا الدينية.

لقد سيطرت الكتابة الأيديولوجيا على المشهد السردي الروائي عند أحمد رفيق عوض – ولا سيما الأيديولوجيا الدينية – إذ أنه يكتب دوما بنظرة أيديولوجية ليكشف بذلك عن هذه الأفكار والرؤى الدينية في المجتمع ويبين حقيقتها وأهدافها.

ولا شك أن هذه هي طبيعة الكتابة في الأيديولوجيا، إذ أنها كينونة فلسفية من تعبر عن فلسف أو رؤية _ أو أيديولوجية – الكاتب، وهي تعني العلم بممارسة الأفكار أو بجدلية

ارتباط الأفكار الدينية المحدثة بالأشياء، ويمكث مجال عملها على خط العلاقة الذي يصل الفكرة بالحدث، والحادث بالفكرة التي يعيد صنعها في نشأة أخرى، أما خط العلاقة فإنه يشتد ويرتخي، وينقبض وينبسط مرارا وتكرارا داخل حركة جوهرية تتفاعل فيها الإرادة المنتجة للفكرة مع إرادة الموضوع الذي تقصده الفكرة لتغيّره.

ونتيجة لذلك تخرج الظاهرة الأيديولوجية إلى ميدان الحركة والصراع، وهذا ما تكشفه روايات أحمد رفيق عوض، ومنه ما يسرده الكاتب على لسان الراوي بينه وبين امرأة فلطينية، في روايته (بلاد البحر) :

"قلت لها إن العروبة منظومة قيمية وأخلاقية ليست منظومة سياسية، فقالت إنها توافق على ذلك، ولهذا أكمل الإسلام ما ينقص العرب، الكرم والشجاعة والشهامة والمروءة تذهب أمام الكبر وحب الذات والبحث عن الجاه،، العرب بحاجة إلى الترك والأكراد، وأهل المغرب، وأهل إيران، وأهل الهند، وأهل الجزر البعيدة في إندونيسيا وماليزيا وكل من قال لا إله إلا الله، قلت لها: ولكنك تُعيدين الأمر إليكم، أي أن الإسلام ليس فكرة يُدافع عنها من يؤمن بها، بل هو مرتبط بأشخاص وعصبيات؟!

أجابت: هذا تدبير الله! ليت كل الأشياء مفهومة!![1]".

إن هذا النص يكشف بوضوح عن أيديولوجية الكاتب نفسه، إذ أن ذلك ما يريده أن يكون للدين، وهو الوحدة والاتحاد والجماعة، وأن الدين في أصله له هذا الهدف المشترك الذي يجمع حوله المسلمين من كل حدب صوب حتى إذا ما أصبحوا قوة بهذا الجمع الهائل

---

[1] بلاد البحر، ص: 255 .

فلن تقوم للعدو قائمة، وهذا هو سبب تمكُّن العدو من العرب والمسلمين بصورة عامة، وهو التقسيم والتفريق بينهم والتجنيس بين من هو عربي ومن هو هندي ومن هو أفريقي ومن هو كردي أو تركي أو مغربي أو إيراني... إلخ.

أما إذا كان توجُّه هذا الدين والسعي له هو كلمة التوحيد نفسها (لا إله إلا الله) صارت للمسلمين تلك القوة، ومن هنا فإن الكاتب بعبقرية واضحة أراد أن ينفي عن الإسلام أنه مجرد فكرة، فالإسلام أو الدين أكبر من أن يكون مجرد فكرة يدافع عنها بعض الأفراد الذين يؤمنون بها، ولكنه منهج حياة يجب أن يكون راسخا في نفس كل من يعتنق (لا إله إلا الله) بالنسبة للمسلمين، وبالنسبة لمن يُخاطبهم الكاتب، وهم العرب والمسلمين في أرجاء الأرض.

إن أيديولوجية أحمد رفيق عوض هنا هي التحرر من التبعية للأنظمة الحاكمة المستبدة، وهو ما يدعو إليه الكاتب كمفهوم جديد للأيديولوجيا يقابل علم الأفكار أو مفهومها التقليدي، وهذه الدعوة كانت بمثابة قطيعة على الفكر التقليدي الذي تسيطر عليه الحكومات من خلال أنظمتها الدينية وخطابها الديني من خلال الأجهزة الإعلامية الموجَّهة والتي تقدم الدين كقالب جاهز لا يقبل الانتقاد، و فكر الإنسان عندهم يكتنفه النقص[1]، وذلك ما جعل الأيديولوجيا تهدف إلى تحقيق برنامج إصلاحي، يقوم بمهمة تحرير المجتمع والفرد من تسلط الموروث.

وتتجلى الأيديولوجيا في رواية (بلاد البحر) أيضا في هذا الحوار:

---

[1] يُنظر: ،العروي،عبد الله :مفهوم الايديولوجيا، ط7،المركز الثقافي العربي، بيروت–الدار البيضاء، 2003 . ص: 22 .

"قلت لأبي الفداء: من يحسم مصير العالم؟!

قال: الذي خلقه أيها الولد

قلتُ: ومتى الحسم؟!

قال: عندما لا يعود للعالم نفع، عندما يستهلك العالم نفسه.. عندما تصل الغاية إلى منتهاها.

قلتُ: لم أفهم!

قال: حتى تتحقق كل النبوءات.

قلتُ: هل تؤمن بالنبوءات؟!

قال: العالم فقير وتافه من دون نبوءات.

قلتُ: والقنابل النووية؟!

قال: تعجل النهايات... لا يُمكن إبقاء العالم محاصرا ومهددا بِلُوطيٍّ يملك القوة النووية.. حتى الشياطين ستغضب من هذا الوضع !

قلتُ: قُتل الإنسان ما أكفره ! يوم الحساب ضورة عقلية وليست دينية فقط!"[1].

إن هذا الحوار يتضمن الأيديولوجيا الدينية عند أحمد رفيق عوض بوضوح شديد، إذ أنه يمثل رؤية الكاتب وتصوره لماهية الدين في حياة الناس والمجتمعات والتكتلات السلطوية والحكومية في العالم، فهو في تناقص دائما على حساب استبداد البشر وطغيانهم، لأنه يرى أنه يوما ما سيكون العالم بلا نفع، لأنه في ذلك التوقيت يكون قد استهلك نفسه

[1] بلاد البحر، ص: 256 – 257 .

وأفنى البشر بعضهم البعض، وعندئذ فلن يكون هنالك أي معنى لبقاء العالم أو الوجود البشري ذاته، إذ أنهم سيفنون بعضهم بعضا.

وعلى الرغم من ذلك فإن الكاتب يرى أنها نبوءة، لكن لها في أرض الواقع دلالاتها وبراهينها، وهو هذا التسلح والتطور في السلاح يوما بعد يوم والقنابل النووية والهيدروجينية التي تستطيع بضع قنابل منها أن تبيد الكوكب وما عليه من مخلوقات.

ومن يُدير المشهد هذا هو ذلك اللوطي الذي يعني به الكاتب الغربَ ممثلا في أمريكا والكيان الصهيوني ودول الغرب بصورة عامة، فهذه النهاية حتمية، ولا يكون ذلك إلا في غياب الدين، وهو كذلك بالفعل، ولذلك أيضا شواهده من الدين نفسه وكلام النبي صلى الله عليه وسلم الذي قال أن الدين بدأ غريبا وسيعود غريبا، إنه مجرد أكليشيهات وطقوس لم تعد لها روح الدين الحق كما كان في أول عهده.

ومن هنا يعلق الكاتب بأن كل ذلك يستدعي لا محالة أن يكون هناك يوم حساب، فهذا ضرورة عقلية بجانب كونه ضرورة دينية.

وفي روايته (آخر القرن) نجد الأيديولوجيا الدينية عند أحمد رفيق عوض إنما هي صياغة لتصور الدين عند العرب وأثر هذا التصور في حياتهم، ومن ذلك ذكره لسور ذي القرنين الواردة قصته في القرآن الكريم، في معرض حديثه عند الغرب وتقدمه على المسلمين كثيرا ولا سيما الولايات المتحدة الأمريكية صابحة السيطرة الأكبر على العالم، فيقول:

"كنت أراقب الشبَّان الألمان وهم يهدمون سور برلين العظيم من الطرفين، فلما انهدم السور (واستطاعوا هل نقبا) تذكرت سور ذي القرنين الذي يرق كل يوم حتى يُصبح كقشرة

البصل في المساء، ولكنه يعود إلى سابق عهده في الصباح، وليس من علاقة بين السورين إلا أن كلا من ذي القرنين والولايات المتحدة الأمريكية (أتبع سببا) وإتْباع الأسباب يؤدي إلى نتائج صحيحة ونافعة.."[1].

هكذا يرى أحمد رفيق عوض في كتابته عن الأيديولوجيا الدينية، وهذا تصوره لتأخر العرب وتقدم الغرب، فالأمر ليس له شأن بالتدين أو الدين ذاته، لأن الدين في حقيقته (الدين الإسلامي) إنما تتجلى أعظم مبادئه و قواعده في العمل والكفاح والأخذ بالأسباب، وما أكثر ما دلت عليه آيات القرآن الكريم من طلب العلم والعمل به.

وقد ألمح الكاتب إلى أسباب ما عليه الولايات المتحدة الأمريكية الآن، وهو أنها (أتبع سببا) أي أخذت بالأسباب فتقدمت في الاقتصاد والمجال العسكري والسياسي وكل شيء، لأنها عملت لذلك جيدا، أما العرب فلا يزالون يعوِّلون على الدين وعلة وجود إله لعله ينزل من السماء يبني لهم ويعمل لهم وينصرهم على عدوهم، بينما هم عاجزون حتى عن إطعام أنفسهم اللقمة أو كسوتهم الثياب أو فعل أي شيء من صنع أيديهم، وهذا ما أشار له أحمد رفيق عوض بقوله في الصفحة نفسها: "انظر إلى ثيابك وطعامك وسيارتك لم تلمسها يد عربية، ولكن بلاد العرب أوطاني!!"[2].

أي أن الأيديولوجيا الدينية عند أحمد رفيق عوض تنطلق من أن العرب عاجزون، فالدين عندهم هو محض تواكل يفتقد إلى العمل، وهذا توجيه من الأنظمة تدعمه الأنظمة

---

[1] آخر القرن، ص: 7 .

[2] آخر القرن، ص: 7 .

المستبدة التي لا تريد غير البقاء حتى ولو على حساب الأوطان، فالدين والشعوب لله وعند الله! أما الأوطان فهي للحكومات وحدها ترعى فيها وتأكل مقدراتها.

وتأتي رواية (عكا والملوك) لتمثل الأيديولوجيا الدينية عند أحمد رفيق عوض، بدءا من العنوان ذاته الذي يشتمل على هذه الكلمة (عكا) الواقعة في شمال فلسطين، والدالة على عبق التاريخ المليء بالأبعاد الدينية والسياسية حيث الصمود والتحدي في وجه غزوات الأعداء التي تكررت كثيرا عبر التاريخ الإسلامي، كان منها غزوات نابليون بونابرت الذي تحطمت جيوشه أمام أسوار عكا.

وبالإضافة إلى ذلك فإن عنوان الرواية يأتي أيضا كإيجاز لمضمون الرواية وكل موضوعاتها التي وزعها الكاتب بين عدة عناوين حول شخصيات تاريخية يدور الحديث فيها حول حدث تاريخي خطير هو حصار عكا، وكل شخصية تحمل رؤية محددة لهذا الحصار، فابن جبير – على سبيل المثال – يتحدث عن رحلته إلى عكار المحاصرة وعن طريقة دخوله لها[1].

وقراقوش يصف حصار عكا ومعاركها، و (جوانا) أخت ريتشارد تصف الحصار والمعارك من خلال وجهة نظر الآخر، ومن هنا جاءت (عكا) محورا رئيسا لحديث الشخصيات وسرد الأحداث[2].

والعنوان يدل على حالة من الصراع، إذ أن كلمة عكا مفرد، بينما تأتي كلمة (الملوك) جمع، فالصراع هنا بين القليل (عكا وأهلها) والكثير الملوك الفرنجة، والحملات

---

[1]) يُنظر: عوض،أحمد رفيق: عكا والملوك ، ص: 5 – 39 .

[2]) يُنظر: المصدر السابق،ص: 41 – 72 .

الصليبية التي جاءت في ثوب الدين وحماية النصارى، ومن خلال ذلك نتبين أن العنوان نفسه يتضمن الأيديولوجيا الدينية عند الكاتب أيضا لدلالته على الصراع المتجدد بين المسلين والغرب، ولا يخفى ما للدين من دور رئيس في ذلك عند كلا الطرفين.

وفي روايته (عكا والملوك) يستهلها الكاتب بالأيديولوجيا الدينية عنده في قوله:

"قل سيروا في الأرض، ولا تسمعوا لأرسطو وشراحه، الأرض تحدث أخبارها، وفيها من العجائب ما يكفي للاندهاش حتى آخر لحظة في العمر... سيروا في الأرض وشاهدوا آثار الأمم التي محقها الله فغاصت في التراب، أو تيبست على الحجارة، ثمَّة وجه الله في كل شيء"[1].

إن أيديولوجية الكاتب هنا هو ضرورة إلغاء الوساطة الدينية بينه الناس وبين رجال الدين أو السلطة، ولا عليهم إلا أن يسيروا في الأرض ويضربوا بأرجلهم سعيا على الحقيقة وما يُراد لهم وبهم، فلا حاجة لهم إلا أن يسيروا في الأرض، والكاتب يُحيل بهذه الجملة إلى مبدأ ديني قرآني، وهو أن الإنسان خُلق للسعي والسير والحركة حتى يتحقق وجوده وتوازنه في هذا الكون، أما إن أقعد نفسه حتى عن التفكير في ما يُعبَّأ في عقله فإنه لن يكون لديه من الدين إلا ما تريده له الأنظمة و الحكومات ليكون الدين وسيلة إخضاع وتركيع لسياستها، وهنا يخلط الكاتب بين الأيديولوجية الدينية والسياسية.

لكنه على أية حال يستعمل الأيديولوجيا وفق مفهومها من حيث كونها مجموعة الأفكار التي يحاول الكاتب من خلالها ربط أن يربط الفكر العام بتصور المجتمع أو محاولة

[1] عوض،أحمد رفيق: عكا والملوك ، بيت المقدس للنشر والتوزيع ، مطبعة المنار الحديثة، رام الله – فلسطين، ص: 5 .

تشكيل اعتقاد الناس، وبالتالي تبصيرهم كيف يتصرفون، لتوضح وتقييم أوضاعهم الاجتماعية, التي تساعد الناس على فهم حقوقهم في المجتمع, وتقديم برنامج عمل اجتماعي ملائم لهم، ومن هنا نتبيَّن إن الأيديولوجيا تتمثل مهمتها في تحديد الأفكار واظهارها وطرق استخدامها في المقام الأول، ومن هنا فالتحليل معنيٌّ بدراسة كيفية توظيف الأيديولوجيا دينيا، ومن ثمَّ النظر لها بوصفها عنصرا متكاملا.

إن الأيديولوجيا الدينية عن أحمد رفيق عوض ترتبط كثيرا في رواياته بالأيديولوجيا السياسية، ولا ضير في ذلك، إذ أن الدين في أكثر معانيه "يُمثل عمومية مجتمع منظم من الناس يرتبطون معا بمجموعة مشتركة من العقائد فيما يتصل بحقيقة متجاوزة من نوع ما، يتم التعبير عنها من خلال مجموعة من الأنشطة والممارسات المصرح بها"[1].

وذلك ما نلاحظه بوضوح في روايات أحمد رفيق عوض، ومنه في روايته عكا والملوك هذا الحوار:

"فماذا تقول أنت يا أبا الحسن؟!

ـ أقول إن الفرنجة – وإن كانوا قد جاءوا لحمية دينية – فقد جاءوا أيضا لما في الشام ومصر من خيرات.

ـ كيف ذلك يا أبا الحسن؟!

---

[1]) هيود،أندرو:مدخل إلى الأيديولوجيا السياسية،ط1، ترجمة: محمد صفار ، سلسلة العلوم الاجتماعية ، المشروع القومي للتركة – المركز القومي للترجمة ، القاهرة – مصر، 2012 م. ص: 348 .

ـ أمراء الفرنجة ومحاربوهم وخواصهم، وحتى عامتهم يتلقون العون من كنائس الفرنجة المختلفة، ومن تجار الحواضر الكبيرة مثل جنوة وبيرة والبندقية، ومن ملوك الانكتار والبلغار والدنمرقة والألمان والفرنسيس.

ـ الفرنسيس الذين يُناصرون الفونس علينا في الأندلس؟!

ـ هم أعينهم، ولهذا فإن حرب الفرنجة علينا من المشرق والمغرب أيضا – تحمل الحميتين، الدين والمنفعة.

ـ أرأيتَ ذلك بأم عينيك؟!

ـ رأيت أن الفرنجة والمسلمين متشابهون في ذلك؛ المنافع تحركهم وتدفعهم، ثم يلتمسون من الدين الذريعة، ولهذا ترى أميرا من المسلمين يُصانع الفرنجة، وترى أ/يرا من الفرنجة يُصانع المسلمين، ولكن! وهذا ما يجب أن تعرفوه، فإن ذلك كله قد تغير كثيرا"[1].

هذه هي الأيديولوجيا الدينية التي يعرض لها الكاتب، وهي أن الدين أصبح وجوده للمنفعة، والمنفعة فقط.

فكما أن الفرنجة استعملوا الدين للمنفعة فكذلك الأنظمة والحكومات العربية لا يستخدموه إلا للمنفعة في تخدير الشعوب به وصرف أيديولوجيتهم الدينية كلها إلى الدار الآخرة، حيث الجنة أو النار وعقاب الظالمين وثواب المظلومين، إذن يُوكل الأمر إلى هناك! وليس في الدنيا، أما إذا في الدنيا فلا يريد الحكام منه سوى الطاعة العمياء لأولي الأمر! حتى وإن ظلموا وأفسدوا وجاروا! فليكن ذلك، وليكن الرد عليهم يوم البعث والحساب.

---

[1] عكا والملوك، ص: 11 – 12 .

ولعل المفكر الأيديولوجي نفسه لا يُدرك من يحرك، أو هو يجهل القوى الحفية والحقيقية التي تحركه، ومن هنا فقد كما ركزت الماركسية على اعتبار أن الإيديولوجيا وعي زائف وعملية ذهنية يقوم المفكر بها وهو في كامل لكنه يجهل القوى الحقيقية التي تحركه، ومثل ذلك الإعلامي الذي يتحدث يبث أيديولوجية الدولة أو النظام الحاكم.

إن الأفكار تتعلق – في نشأتها– بحركة المجتمع والفرد ويتصل تطورها بالتقسيم الطبقي وعلاقات الإنتاج وبالقوى الاقتصادية وبالتالي فإن كل المذاهب والأفكار عند الماركسيين مشروطة بالمواقف التاريخية، وما صراع الطبقات إلا انعكاس لشمولية الإيديولوجيا لكل الأشكال القانونية والدينية والفلسفية لأن "الطبقة التي تملك وسائل الإنتاج المادي تملك أيضا وسائل الإنتاج الروحي"[1].

وتتركز الأيديولوجيا الدينية التي تمتزج فيها الأيديولوجيا السياسية أيضا في رواية (عكا والملوك) في ذكره لصلاح الدين الأيوبي، والذي لا شك أنه رمز عسكري ديني في التاريخ الإسلامي.

ولم يكن ذكره في الرواية واستدعاء شخصيته وورعه وجهاده إلا لتغلب الأيديولوجيا الدينية والسياسية عند الكاتب ، ليشير إلى تصوره في ما يجب أن تكون عليه الأنظمة أو الحكومة الإسلامية إذا أرادت لنفسها ولأمتها أن تنهض من كبوتها وتعود إلى ما كانت عليه في الرعيل الأول للإسلام .

يقول أحمد رفيق عوض على لسان الراوي في رواته (عكا والملوك) :

---

[1] إراهيم،زكريا:مشكلة الفلسفة ، مكتبة مصر، الفجالة – القاهرة ، ص: 179 .

" سيدي ومولاي السلطان الناصر صلاح الدين لم يقل للناس: تعففوا، بل تعفف هو نفسه، ولم يقل للناس: جاهدوا، بل جاهد هو نفسه ، ولم يقل للناس: ارحموا بعضهكم بعضا، بل رحم الناس، ورحم حت أعداء الأمة، لم يقل للناس: لا تكنزوا، وهو من أنفق على المدارس والمساجد والثغور، والأسطول والجيش وعمارة الأسوار والقلاع، لقد أدهش سيدي ومولاي الناس، كل الناس، بمعاشه وإدارته للأمر، فهو لم يُجاهد الفرنجة وحسب، بل عَمَرَ وبنى وخطط، وشجع العلم والعلماء، وكان للفقهاء عليه دالَّةٌ لا تُدانيها دالَّةٌ"[1].

إن ذلك تصور الكاتب نحو ما يجب أن تكون عليها القيادة الدينية ، وما يجب أن يكون عليه رجل الدين، أو كل من يدَّعي في الدين صلة، فهذه هي الأيديولوجيا الدينية التي تنطلق من تحقيق الدين فيمن يتحدث باسمه بالفعل والعمل الحقيقي، إذ يجب أن تتحدث الجوارح والأفعال لا اللسان وحده .

إنه يرى في صلاح الدين نموذجا لما يجب أن يكون علهي رجل الدين أو المتديِّن ، فهذه صفاته من العاف والجهاد والكرم والرحمة، والزهد في الدنيا ومتاعها، والإنفاق على أعمال الخير في الأمة ، من بناء القلاع والمدارس والمساجد، ونفع الناس بكل ما يُمكن له أن يقوم به نحوهم من المال أو غيره، وهذا كان جهاده الحق الذي استطاع أن ينفع به الدين والأمة الإسلامية، والذي صدق مع الله فصدقه الله تعالى وحرر به بيت المقدس .

وتجدر الإشارة إلى أن استدعاء الشخصيات التراثية إنما يكون للتعبير عن الواقع بالنقيض ، إذ أن الكاتب أراد أن الأمة تفتقد مثل هذه الشخصية أو تلك كأنموذج يجب أن

---

[1] عكا والملوك ، ص : 85 .

يوجد مثله إذا أرادت الأمة النصر، ومن هنا فإن الأمر ليس مجرد نقل للتراث أو توظيف له، وإنما الأمر كله خاضع لإتقان المُبدع أو الكاتب لذلك الفن وهذا الاستلهام في استدعاء التراث باعتبار أن ذلك " مرحلة من مراحل تعامل الكاتب معه، وهي مرحلة تجاوز أنماط إحيائية واستلهامه إلى التعامل معه من الناحية الفنية، فتنتقل من خلال ذلك رؤية الكاتب المعاصرة إلى هذه العناصر التراثية التي يُعيد خلقها وتأليفها لواقعه الجديد"[1] .

ومن هنا نتبيَّن بوضوح أن عملية التمازج هذه إنما هي آلية يقوم بها الكاتب ليوازن بين ما يستدعيه من التراث وبين الواقع المعين الذي يريد أن يكشف عن أيديولوجيته، تلك الأيديولوجية التي تُظهر الفرق بين مجرد النقل والتوظيف[2] .

إن هذه هي أيديولوجية الكاتب التي يريد أن يُطلعنا عليها من خلال هذه الرواية، التي يتضمن عنوانها اسم موقع وفتح ونصر من الله لا ينفصل بأية حال عن اسم صلاح الدين الأيوبي الذي فتح الله تعالى به عكا فكان صلاح الدين خير ملوكها وخير الفاتحين وخير الحكام السلاطين المسلمين بحق .

إن فعالية ودور الأيديولوجيا واقعيا أو نظريا لا يمكن أن تحدد إلا داخل إطار علاقة السلطة مع الطبقات الاجتماعية وكذلك بنيتها والصراع الذي يجمع بينها بوصفها تشتمل على: "جانب نظري يقوم بعملية معرفة ويقدم نشاطا فكريا، وجانبا تطبيقيا لكونه إطارا

---

[1] توظيف التراث في المسرح ، دراسة تطبيقية في مسرح سعد الله ونوس ، دار الأوائل، دمشق – سوريا ، (د. ط)، 2000 م ، ص: 46 .

[2] يُنظر: المرجع السابق ، ص: 42 .

لنشاط يتجسد كـ (اعتقاد) و (إيمان) وتترجمه عيانيا مواقف ونشاطات وممارسات ملموسة"[1] ، ومنه فإن كل سلوك للإنسان يحمل تصورا للعالم يتجسد ويترجم في أشكال وممارسات تنتج بدورها أيديولوجيا .

ومن خلال ذلك فإن الإيديولوجيا الدينية عند أحمد رفيق عوض تتحدد دوما من خلال تعرضه بهذه العلاقة بين السلطة والمجتمع، وهو يعكس دوما أثر هذه العلاقة، وهو أثر سلبي للأيديولوجيا الدينية، وهو لا قنفك عن استدعاء التاريخ ورموزه وشخصياته القيادية والدينية.

ولا شك أن ذلك يتوافق إلى حد كبير مع مفهوم الأيديولوجيا عند (لوسيان غولدمان)، والتي تركز كثيرا على الوعي التاريخي للذات، إذ يطرح لوسيان غولدمان أفكاره التي بلورها في رؤية العالم التي ضمنتها نظريته التي أنشأها من المزاوجة بين النزعة البنيوية والنزعة الاجتماعية بتحويلهما إلى تركيبة منهجية معرفية هي البنيوية التكوينية، ولكنَّ رؤية العالم لم تكن وليدة البنيوية التكوينية بالتحديد لكنها وجدت عند كثير من المفكرين والفلاسفة الذين تطرقوا إلى علاقة الإنسان بالواقع والفكر .

ومردُّ ذلك كله هو كثرة التعريفات التي تناثرت بواسطة المؤلفات الحديثة، ولكن البنيوية التكوينية تمكنت من خلال بلورة غولدمان لها أن تكون أكثر وضوحا وأكثر دقة من الشمولية التي عرفتها عند جورج لوكاتش[2].

---

[1] بيوتي، جان مارك :فكر غرامشي السياسي،ط1، ترجمة، جورج طرابيشي، دار الطليعة، بيروت – لبنان، ص: 182 .

[2] يُنظر:عموري،السعيد: الكتابة والتشكيل الأيديولوجي في الرواية العربية المعاصرة - دراسة نقدية أيديولوجية ، رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراة العلوم في الأدب الحديث ، الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، كلية الآداب واللغات ، 2013 م ص: 20.

المبحث الثاني: الأيديولوجيا الاجتماعية

إن معظم التفرعات والمتشعبات الجديدة في علم الاجتماع نمت من جذور أشكال الوعي الاجتماعي عن طريق علاقات الإنسان في مراحل معينة من تطور المجتمعات البشرية، وقد مهَّد ذلك الطريق لخلق سيكولوجيات جديدة ومن ثمَّ ظهور أيديولوجيات جديدة، علاوة على الأيديولوجيات الدينية، والأيديولوجيات السياسية والأيديولوجيات المتمثلة بمصالح الطبقات الاجتماعية، وقد أخذ مفهوم الأيديولوجيا محتوى جديدا، الأمر الذي أدى بالضرورة إلى ظهور أحزاب أيديولوجية .

وقد ظهرت كثير من الأيديولوجيات خلال الفترة الممتدة ما بين الحربين العالميتين الأولى والثانية من أبرزها (القومية، الديمقراطية، البرجوازية، الليبرالية، الشيوعية، الاشتراكية النازية،، الفاشية، ومن هنا فقد برزت الأيديولوجيات الاجتماعية من جديد...الخ، ولم يستطع البعض منها جزئيا استيعاب كل المفاهيم، في حين ظهرت أيديولوجيات كلية، استوعبت حركة التطور، وكانت لها نظرة شمولية وأسساً للتعامل مع جميع أشكال الوعي الاجتماعي بما يتفق مع تحقيق أهدافها[1].

وقد وظف أحم رفيق عوض الأيديولوجيا الاجتماعية في روايته ليعبر عن واقع المجتمع الفلسطيني، والمجتمع العربي بصورة عامة، معتمد في ذلك على الواقع المعاش الذي عاصره الكاتب والأحداث التي شكلت وعيه وأيديولوجيته نحو مجتمعه الذي يعيش فيه.

---

[1]) يُنظر: ، عبد العاطي،صلاح: الانقسامات والتسامح في المجتمع العربي،الحوار المتمدن، 2015.

وتجدر الإشارة إلى أن العمل الأدبي يستمد حضوره دائما من الواقع الاجتماعي، إذ انه ينبثق من عمق الحياة التي تعيشها جماعة معينة بشكل معين من الأشكال، ومن خلال ذلك فإن الروائي المبدع يتفاعل مع مجتمعه، ويشخص واقع هذا المجتمع، ويحاول طرح المشكلات التي تخص فئة معينة، ويقول باختين في ذلك: "إنَّ الدليل اللغوي محمل بشحنة أيديولوجية لا تعكس الصراع الاجتماعي السائد، وإنما تجسده وتدخل في سياقه"[1].

ومن هنا يتضح لنا أن الأيديولوجيا الاجتماعية تبرز في الرواية بأكثر من طريق، وتعمل على رسم تصور معين عن الواقع الاجتماعي، وتقديم خريطة بكل معتقداته ومكوناته لخلق وعي جمعي بين الناس مبتعدين ، أو متقاربين عن ماضيهم، فهناك المعتقدات والأساطير، والحكايات، والجان، والعادات، والتقاليد، والسحر والشعوذة، والأمثال الشعبية، والأشعار... إلخ.

وأبرز روايات أحمد رفيق عوض التي وظف فيها الأيديولوجيا الاجتماعية رواية (عكا والملوك)، فمع بالعودة إلى وقت كتابة النص نجد أن الواقع الفلسطيني كان في جدل مستمر ومشتعل حول أيديولوجيا الجهاد والاستشهاد ومعانيهم ، ولا سيما فيما يخص العمليات الاستشهادية التي كان الفلسطينيون يتخذونها طريقا للتعبير عن رفضهم لأي شكل من أشكال الوجود الاستعماري ، ولو كان المقابل هو الحياة.

ومن هنا يذكر رفيق عوض في روايته (عكا والملوك) عملية استشهادية من زمن صلاح الدين من خلال حادثة السفينة التي دمرها المسلمون بعد حصارهم، وقد كانت قادمة

---

[1] الحميداني،حميد: النقد الروائي والأيديولوجيا ، ص:33.

لفك الحصار عن عكا، وكأنها ذاتها التي جاءت زمن الكتابة لفك الحصار عن غزة؛ فيقول عوض على لسان الفرنجة في سرده للحدث: "عندئذ رأينا ما عجزنا عن فهمه، وقد دهش الجميع من أنهم يهدمونها جزءا جزءا، ووقفنا نشاهد ما يجري من جنون حقيقي، كان الرجال يدمرون سفينتهم بكفاءة وسرعة.. كانوا يفعلون ذلك وهم يرددون صيحاتهم المشهورة: الله أكبر.. الله أكبر "[1].

إنَّ اللحظة المكثفة من الفداء والتضحية تتشابه في زمن صلاح الدين وفي الزمن الحاضر في كافة الظروف والعوامل التي تساعد في صناعتها لتصبحا لحظة أيديولوجية عالية الإيقاع في نص الكاتب ، إذ ان الواقع الاجتماعي للبيئة الزمانية والمكانية التي يكتب عنها أحمد رفيق عوض لا تنفك بأية حال أيضا عن الواقع السياسي .

فمسألة العمليات الاستشهادية تتلاقي بين الأيديولوجيا السياسية والاجتماعية على مسافة واحدة، لأن الأمر في أرض فلسطين ليس مجرد سياسة بقدر ما هو فكر وثقافة مجتمع يعيش الاستشهاد ويُعدُّ له يوميا .

وهنا تتضح علاقة الأدب بالأيديولوجيا، إذ أن الأدب وفقا لـ (حنين إبراهيم معالي " ينسجم في بنيته الفكرية مع المجتمع وتغيراته عبر العصور، وهذا أدى إلى ظهور حركات نقدية تثبت أن البيئة الاجتماعية وأفكارها الأيديولوجية تؤثر في الأدب بشكل أو بآخر[2]،فثقافة المجتمع في روايات أحمد رفيق عوض هي أكثر ما يُشكل أيديولوجيته.

---

[1] رواية عكا والملوك، ص: 120 .

[2] معالي، حنين إبراهيم، البُعد الأيديولوجي في روايتي موسم الحوريات وأبناء الريح وأثره في البناء الفني، حنين إبراهيم معالي، ص: 109.

وقد وظف احمد رفيق عوض الأيديولوجية الاجتماعية مستعملا الأساطير في خدمة النص؛ وذلك لتلعب دوراً كبيراً في الأحداث، ويبدو ذكر التنين الذي يحمي مَن في مناطقه، إضافةً لقوته وجبروته. وهولاكو وقومه الذين خربوا بغداد بأنهم قوم تزاوجوا من الجن والشياطين .

وقد قام بذكرهم ليعطي صورة وحشية عن التتار الذين اجتاحوا الخلافة العباسية ولم يرحموا أحدا، ويذكر أيضا في هذه الرواية صورة الجن بكثرة، بسبب الاعتقادات الفلسطينية المتوارثة، بأنهم يسكنون المغاور وقمم الجبال، يقول في روايته (بلاد البحر): " تركني أبي وحدي على طريق المقثاة، وحولي الجبال العالية، تحط عليها صغار الجن، تتصلب على القمم، وعلى أفواه المغاور، تتقاتل وتتصارع على روث الحيوانات والعظام البالية، فنظرت إليّ وتركتني"[1] .

إنه توظيف بارع من الكاتب للأيديولوجيا الاجتماعية، إذ أن الوالد قد ترك هذا الطفل الصغير في السهول المزروعة بالخضروات جعله يتخيل وجود الجان، بل يسرد عنها أحداثا وينسج عنه القصص كما لو كان ينسج قصصا عن أترابه وهم يلعبون ويعبثون معا في الشاعر! بينما هو يتحدث عن الجن بألفة ظاهرة جدا، ولم لم يخف منها، ولا هو أيضا يهابها فكيف يمكن له أن يخاف من المحتل المغتصب للأرض، أو من الصليبين الذين قدموا إلى البلاد الفلسطينية .

---

[1] رواية بلاد البحر، ص: 60 .

وهو أيضا يصف تلك الأشكال الجنية بأنها أرواح متطايرة، ذات شعر طويل وعيون واسعة، مليئة بالحنان والعطف فمدت يدها إلى الطفل وغسلت قلبه، فنام وصحى على أقدام والده، وكل ذلك في منتصف الليل، وهذا دليل على عطف الجان على الطفل، وهي ثورة مغايرة لما تحمله الذاكرة الفلسطينية من ثورة المجتمع على الواقع الأليم.

وفي روايته (مقامات العشاق والتجار) يوظف أحمد رفيق عوض – عن طريق الراوي – الأيديولوجيا الاجتماعية من خلال مجموعة من الشخصيات التي تواكب عصر "أوسلو" والتي تندمج فيه بحث تكون إحدى المعالم التي غيرت سلوك ومفاهيم المجتمع الفلسطيني كما يراها الكاتب ، وعلى الرغم من أن الرواية نشرت في عام 1997 م – وقد كان من المفترض أن تأخذ مكانتها عند المسؤولين الفلسطينيين – لكنَّها تدق الخزان قبل أن نصل إلى ما وصلنا إليه، وتحذر السلطة والمجتمع الفلسطيني من خطورة الانتهازية والفساد والتعامل مع المحتل بأي شكل من الأشكال، إذ أنه لا يُعقل اليوم أن نجلس مع المحتل في فنادق خمس نجوم، وبالأمس كان من نجلس معه هو السجان – المحقق – المحتل الذي أذاقنا المواطن الفلسطيني شتى أشكال العذاب .

ومن هنا فإن الرواية تكمن أيديولوجيتها الاجتماعية عند الكاتب من خلال طرحه لكثير من مخاطر "أسلو" على بنية المجتمع الفلسطيني، والكاتب يكشف عن طريقها كل مظاهر الفساد في مؤسسات المجتمع المدني، المرأة، والطفولة، وحقوق الإنسان، وكذلك الشركات الخاصة .

وما يحسب لتلك الرواية هو أن الراوي فيها كان حياديا بصورة تامة، بحيث جعل الشخصيات تتحدث وتتصرف بحريتها من دون أي تدخل من الراوي، ومن هنا فإننا نجدها على حقيقتها، تدافع عن نفسها ، عن الفساد الذي تقوم به، وتبرر وتعلل لنا الدوافع لذلك السلوك القذر، لهذا لم تكن هناك نهاية للأحدث، وكأن الراوي كان على دراية بما سيكون عليه واقعنا بعد "أوسلو" والذي سيستمر إلى أن نصل إلى الحضيض ولا تقوم لنا قائمة بعده ابدا .

ومن أهم المواضع من المقاطع التي توضح يوظف الكاتب فيها الأيديولوجيا الاجتماعية هو حديثه عما وصلنا إليه بعد "أوسلو" إذ يقول الكاتب على لسان الراوي:

"ولكنَّ الفلسطينيين عنيدون وسريعو الغضب قليلو الحكمة، وتحول تاريخهم الحديث إلى عقدتهم وعقيدتهم، فهم يكفرون أو يؤمنون بها ككفرهم أو إيمانهم بالله، فلسطين البائسة، وأيام الانتفاضة غير الأيام التي بعدها... "[1] .

إن هذا المقطع يعكس أيديولوجية الكاتب الاجتماعية بوضوح شديد، إذ أن معنيٌّ فيه بالمجتمع الفلسطيني بعد أوسلو فقد تغيرت طباعه إلى سرعة الغضب التي تتناسب بطبيعة الحال مع قلة الحكمة، فلم تكن لهم ذات يوم عقيدة أشد من عقيدتهم نحو قضيتهم وإن يكفروا بهذه القضية فكأنهم كفروا بالله، لأنه عقيدة تعدل عندهم الإيمان بالله، ولكن هكذا صار حالهم بعد أسلوا إذ تملَّكهم بعض اليأس، وأصبحوا بائسين، ولن تكون لهم القدرة على قيادة انتفاضة كالتي كانت في الماضي.

---

[1] عوض،أحمد رفيق: رواية مقامات العشاق والتجار،ط1 ، دار الفاروق للثقافة والنشر ، نابلس، شارع جمال عبد الناصر – فلسطين ، 1997 م. ص : 94 .

ويؤكد هذا الطرح نفسه في قوله: ""لم يعد فكر الخمسينات و الستينيات يكفي... الفكرة ذاتها تشيخ والجماهير الآن معلبة ومعقمة ... ربما تثور لارتفاع سعر الخبز ولكن ليس من أجل فكرة... لقد استولى التلفزيون على الافكار العظيمة"[1] .

إن عوض يوظف هنا الأيديولوجيا الاجتماعية ليعرض جانبا من حالة المجتمع الفلسطيني الذي أثرت فيه أجهزة الإعلام المحلية والعربية والعالمية بصورة كبيرة وملموسة جدا، فكل أجهزة الإعلام تعمل في نسق واحد نحو تمييع وتهوين قضيتهم، وتهميش وجود المجتمع والوطن الفلسطيني نفسه.

ومن خلال ذلك كان لهذا الإعلام أثره في المجتمع الفلسطيني وتصور الكاتب عنه، إذ يرى أن ما كان يثور الفلسطينيون لأجله في الماضي لن يكون الآن، لأن غضبهم الآن ربما يكون من أجل خبزة لا فكرة، أو أراد الكاتب أن الإعلام أراد للمجتمع الفلسطيني أن يكون هكذا على تلك الصورة، أراده مجتمعا سلبيا، تموت فيه قضيته.

وتقول المرأة المغربية الإيجابية الوحيدة في الرواية التي وقفت مع زوجها المريض والذي يحمل الفكرة النقية ولكن بجسده مريض عن المحيطين بها: "وكان علي أن أساعده في كل شيء وأن أصد الطامعين دائما، صعب أن يكون المرء أنثى هنا، فقد دعاني معظم زملاء زوجي ورؤسائه إلى الفراش، كنت بالنسبة لهم جميعا صيدا مغريا وربما سهلا، ولُمست لمس اليد حجم البذاءة وانعدام الخلق في الأوساط التي خالطناها أنا وزوجي، وكنت أحدثه بكل التفاصيل، ولهذا نا نضطر إلى المغادرة السريعة في كل مرة"[2] .

---

[1] المصدر السابق ، ص : 95 .

[2]) المصدر السابق، ص: 95 – 96 .

إن أيديولوجية الكاتب هنا كائنة في تصوره عن المجتمع الفلسطيني وما تأثر به من جراء الوضع السياسي، إذ ان الفساد السياسي ينسحب بالضرورة إلى الفساد الاجتماعي عند أحمد رفيق عوض، وقد وظف أيديولوجيته هنا بكل وضوح ليكشف عن هذا التأثير السلبي، وهذا أيضا ما يُراد بالمجتمع والشعب الفلسطيني، إذ لا يكفي كبته وإذلاله سياسيا، ولكن لا بد أيضا من مسخه من الناحية الاجتماعية حتى لا يكون إلا إنسان لا تثور فيه إلا شهواته ونزواته، وبالتالي تموت قضيته الأساسية إلى الأبد .

ويتضح ذلك في موضع آخر من الرواية نفسها في قوله على لسان الراوي: "فررنا جميعا من النظريات وقيل في ذلك أن العالم الثالث ماهر في تصدير النظريات ، خاصة في هذا القرن ، بينما العالم الأول في تصدير الآلات، عالم بلا نظريات وآخر بلا آلات، فاحلم ما شاء لك الحلم عالم فقد براءته تماما انتهكت كل الاشياء ولم يعد الإنسان يخاف من الطبيعة فاختلف مذاق الفن والأدب، إنه فن محكم موغل في التقنية فقير بالأسطورة، قليل الخوف من الأشياء"[1].

وإذا ما توقفنا قليلا عند طريقة السرد سنجدها سريعة جدا، فالراوي نفسه منفعل، ومن هنا وجدناه يختزل الكثير من الاحداث، ويبتعد عن الشرح الطويل، وبالطبع فإن ذلك الأمر ينسجم تماما مع أهمية الموضوع وحيويته، فهل يعقل أن يكون الأديب المنتمي حياديا وهو يرى وطنه يغوص في الوحل، ويتقاسمه الانتهازيون ؟

[1] رواية مقامات العشاق والتجار ، ص: 115 .

ولعل لهذه الأسباب من سرعة انفعال الكاتب وضيقه بالموضوع نجد أن هذه الرواية (مقامات العشاق والتجار) جاءت من أقصر الروايات لأحمد رفيق عوض" وذلك لأنها تمثل بداية التنبيه لهذا لخطر المحدق بفلسطين والمجتمع الفلسطيني، وربما المجتمع العربي كله، ولكن بعد أن وجدنا نغرق أكثر في رمال "أوسلو" وأخذت أقوام الانتهازيين تترسخ أكثر ، تحدث عوض عن واقعنا وعن الفساد في رواياته اللاحقة، لكنها كانت طويلة نسبيا، على النقيض من رواية (مقامات العشاق والتجار) .

ويذكر إيجلتون، أن وجود "الأيديولوجية ليست مجرد انعكاس بسيط لأفكار الطبقة الحاكمة؛ إنها على النقيض من ذلك، ظاهرة معقدة دوما قد تدمج رؤيات للعالم متصارعة ومتناقضة. ولنفهم الأيديولوجية ينبغي أن نحلل العلاقات الدقيقة التي تربط الطبقات المختلفة في المجتمع؛ وهذا يعني أن نحدد، بالضبط، علاقة هذه الطبقات بصيغة الانتاج[1].

ويوظف أحمد رفيق عوض الأيديولوجيا الاجتماعية في الحديث عن المفاوض الفلسطيني محمود السلوادي في رواية (آخر القرن) لنرى فيه شخصية ضعيفة أما شخصية المفاوض الإسرائيلي، وما ذلك إلا – كما أشرنا من قبل – للإشارة إلى أثر الفساد السياسي في المجتمع وتأثيره على الأفراد .

إن محمود السلوادي في رواية (آخر القرن) مؤمن بتفوق الإسرائيلي عليه، ومن هنا فقد أكثر من استخدامه للأسطورة التي يلجأ إليها ليبين اليأس والاستسلام الذي وصل إليه المفاوض الفلسطيني، إذ انه يتكئ على هذه الخرافة التي ستخلصه من المحتل يوما ما، وهو يكرر مرارا وتكرارا ذلك القول، حيث اختراع رواية معدَّلة للنهاية – نهاية المحتل – بعد

[1] Marocism and Literary. University of California press. 1976. Pp 6-7.

سقوط غرناطة، إذ أن هذه النهاية تفترض تعطيل الآلة ومن ثمَّ العودة لاستعمال السيف ثم الانتصار، وقد وجدت هذه الرواية هوىً في نفوس الأمة، فتناقلتها الأجيال إلى أن وصلت إلى سلواد"[1] .

ويُشبه هذا العجر عن شخصية المفاوض الفلسطيني ما نلاحظه في رواية (عكا والملوك) عن مصباح علاء الدين الذي يريد المجتمع الفلسطيني أن يستخدمه لإخراج المختل، فتظهر هذه القصة كاستدعاء للمعتقدات الشعبية بشكلٍ واضح لتوظيفها في الأيديولوجيا الاجتماعية، ولا سيما في ذكر الخاتم في مصباح علاء الدين، أي عند خروج جني من قمقم أسعد، فيقول عوض:

"إن أسعد قد فرك الخاتم، وإذا بالمغارة تغلق كالرمانة، فإذا هي هاوية سحيقة فيها هتاف يقول: لبيك لبيك، فخفت من هذا الجاني الذي قال: إنّ هذا الخاتم لك هدية، افركه وتمنَّ، فبدلاً من أن يتمنى وطناً وتحريراً وقوة، تمنى زيتاً، وبالفعل تمنى زيتا من بيت فوريك، الذي كان بينه وبين هذه القرية خمسةَ عشرَ يوماً، فإذا بالجرة أمامه فيها نكهة الزيت الدسمة، وهذا العمل عن قرب، جعله يؤمن من مولاه، ويدعو مولاه ما يشاء، فقال مرة أدعوك يا مولاي أن تنزل المطر، فتجمعت الغيوم وأنهمر المطر بغزارة، ولمسته، فقلت هذا عالم الحقيقة فعلاً، هنا يريد عوض أن يعطي صورة بأن الإنسان العربي لا يريد أن يستخدم عقله في تفسير الظواهر، فبدلاً من العلم والمحاجاة يمجد الخاتم والجنين والخزعبلات، والأوهام لتحقيق الهدف[2] .

---

[1] رواية آخر القرن ، ص : 98 .

[2] يُنظر: عكا والملوك ، ص: 207 .

وقد ذكر الشيطان عند أحمد رفيق عوض الذي وصفه بأقبح المناظر غير مستساغ عند الناس، فقام بوصف أحد الأشخاص ووصفه بوصف قبيح، وقال: يبدو أن الرب ترك الأتراك وغضب على هذا، وأعطاه شكل شيطان، وهل يريد بهذا إخافتنا ؟

وتوظيف الكاتب للحكايات الشعبية للأسطورة إنما يدلل به على أيديولوجيته الاجتماعية على قدسية الأرض عند الفلسطينيين، وأن تراب الأرض له أسرار في الثقافة العربية محفوظ في التراث والأساطير والحكايات، وأن على كل ذرة تراب حكاية شهيد، وسجين، وبيت مهدوم، بمعنى أن كل تراب فلسطين، مشى عليه المتظاهرون، والطلاب والشهداء، ليصدق الشاعر أبو العلاء المعري في قوله[1]:

صاح هذي قبورنا تملأ الرحـ ـبَ فأين القبور من عهد عاد

خفف الوطء ما أظن أديم الـ أرضِ إلا من هذه الأجساد

سر إن استطعت في الهواء رويدا لا اختيالا على رفات العباد

فهذا هو التراب الفلسطيني الذي مُزج بالحكايات، وهو يؤكد من منظور أيديولوجي، أن تراب الأرض ملون، وله أيضا حكايات في المعتقدات الشعبية، فالأحمر منه يعتقد بأنه يفيد في الحمل ويسرع به، والتراب الأبيض للشفاء من النكاف، والأسود يفيد في دفع البلاء، ودفع الجن، وهروبهم من الأوطان، وهذا هو الأهم، فتربتنا تساعد في هروب المحتل، والأرض ذات التربة الصفراء تجلب العرسان، والأرض التي تتمرغ فيها الحمير تفيد

---

[1] المعري،أبي العلاء:1376هـ ديوان سقط الزند، دار بيروت للطباعة والنشر – دار صادر للطباعة والنشر، (د . ط) ، سنة 1957 م ، ص: 7 .

في ردع النفس المتكبرة، ويزيل الكبر، والأرض التي تحت بعض الأشجار مثل البطم، تفيد في الصيد، والرفعة، والسمعة الحسنة، وإذا ابتُلَّ التراب بماء المطر يفيد في الرزق والبركة، وترى الباحثة أننا إذا جئنا إلى أرض فلسطين نراها متلونة، فكل شبر فيها، وكل منطقة فيها ذات أهمية للفلسطينيين، وليس ذلك فحسب، بل لها مهمة، يجب أن تخدم بها أصحابها، وتساعد في إبادة المحتل، أو رحيله[1].

ومعلوم أن فلسطين متنوعة التربة، ومن هنا فإن ترابها يفيد في الشجاعة وقوة القلب، وتربتها لها أسرار مثل أسرار الناس، فالناس أصلهم تراب، وهي تحوي الشهداء ، والصحابة، والأنبياء.

إن الكاتب يوظف الأيديولوجيا الاجتماعية في رواياته ليكشف ليُخاطب المجتمع الفلسطيني بحقيقته وما أصبح عليه من اليأس والإحباط نتيجة مرور السنون والأعوام ولا يزيد الأمر إلا تعقيدا، ويزداد معه انحدار الشعب والمجتمع الفلسطيني نتيجة انعكاس هذه الصورة القاتمة في نفسه.

وذلك ما جعل الكاتب يعمل على توظيف الحكاية والخرافة في رواية مثل روايته (مقامات العشاق والتجار) بوجود الأعور الدجال، الذي سيظهر على شرار الناس لا على خيارهم، والأحوال التي ستحل بالأرض قبل يوم القيامة، وهذه الأهوال تكون رد فعل على أعمالنا العلنية والسرية، فهو يخرج في آخر الزمان، ويقدم للناس جبلاً من نار وجبلاً من طعام، فمن اختار جبل النار نجا ، ومن اختار جبل الطعام هلك، ومن أساليبه في إقناع

---

[1] يُنظر: آخر القرن، ص: 62 .

الناس فإنّه يحي الموتى، ويجعل الصحراء خضراء من بعيد، ومن الناس من يقول: إن الدجال اليوم هي التكنولوجيا الحديثة، أو التلفزيون، أو الطائرة، فيحاول عوض أن يقول: إن الكذب والافتراء على الناس بدجل وظلم ومراهنة انتصار الفلسطينيين على غيرهم، فبدلا من انتصار فلسطين على اليهود، انتصر اليهود، بسبب (تعشيش) هذه الأفكار في أذهان الناس عند ذلك: اخلع نعليك واهرب"[1].

هكذا يسيطر على الكاتب فكرة العجز التام لما يمكن أن تقوم به الأيديولوجيا الاجتماعية على أرض الواقع، ولكنها باتت فقط خيالية، لا تسعى إلى النصر والتغلُّب إلى من خلال الخرافات ومصباح علاء الدين وغيرها، فهذه أيديولوجية المجتمع المُحبط البائس.

ويُشبه ذلك وارتداء طاقية الإخفاء التي تحدث عنها المجتمع في حكاياتهم للأطفال، التي ازدادوا شغفا للبسها، وما زالوا ينتظرونها منذ الصغر، ليمارسوا هواياتهم الطفولية، فشاخوا قبل تحقيق هذا الأمل، وهكذا هي الأجيال الفلسطينية التي ما زالت تنتظر المحررين، فيقول عن ذلك: "فحتى طاقية الإخفاء فلا يمكن الوصول بها إلى القدس، أو تحرير فلسطين ، لم يعد لها أصل ولا وجود، فالإخفاء أيضا يحولنا إلى أشخاص مرئيين، فبما أننا نرى، ويرانا العدو فلا نستطيع الوصول إلى القدس، فلا سبيل للتحرير إذن، فلا بالحرب والعصيان المدني، أو مجلس الأمن، أو الشيوعية العلمانية، ولكن يمكن بالاختفاء عن أعين الأعداء، كما في الأساطير، والحكايات التي نراها في الأفلام، في السيطرة على الآخرين من خلال طاقية الإخفاء"[2].

---

[1] مقامات العشاق والتجار ، ص: 41 .

[2] رواية آخر القرن، ص: 252 .

وهكذا نتبين أن الأيديولوجيا الاجتماعية عند أحمد رفيق عوض يوظفها في رصد حالة ووجدان المجتمع الفلسطيني، الذي طال انتظاره للخروج من هذه الأزمة التي ضاق بها الأطفال الشيوخ ومرض بها المجتمع الفلسطيني، حتى أصبح كأنه يكفر بكل أسباب المادة في النصر لعدم قدرته على الحصول عليها، ومن هنا يغلب عليه الخيال وأحلام اليقظة في طاقية الإخفاء ومصباح علاء الدين وغير ذلك من خرافات وأساطير لا تنتهي في ثقافة المجتمع الفلسطيني في ظل الكيان الصهيوني المحتل.

المبحث الثالث: الأيديولوجيا السياسية

إن الايديولوجيا بصورة عامة ليست مجرد مفهوم يعبِّر عن الواقع المحسوس، وليس نابعة من المسلَّمات فتُحدُّ حدًّا مجردًا؛ ولكنها هو مفهوم اجتماعي تاريخي، يحمل في طيَّاته آثارًا لصراعات وتطورات ومناظرات سياسية واجتماعية متعدِّدة.

يقول أندروهيود: "إن جميع الناس مفكرون سياسيون، وسواء علموا بذلك أم لم يعلموا فإن الناس يستخدمون المفاهيم والأفكار السياسية حينما يعبرون عن آرائهم أو يصرحون بما في أذهانهم، وتتبعثر في لغة الحياة اليومية مصطلحات مثل (الحرية) و (الإنصاف) و (المساواة) و (العدالة) و (الحقوق)، وفي نفس الوقت يوظف الناس بشكل منتظم كلمات من مثل: محافظ، و ليبرالي، واشتراكي ، وشيوعي، وفاشستي، إما لوصف آرائهم الخاصة أو آراء غيرهم، وعلى أية حال على الرغم من أن تلك المصطلحات مألوفة وحتى شائعة يندر أن تُستخدم بأي دقة أو بفهم واضح لمعانيها"[1].

لقد أشار أنروهيود إلى مفهوم الأيديولوجيا بوضوح شديد، وإلى الأيديولوجيا السياسية بصفة خاصة، إذ أنها تصورات الفرد للأحداث ومجريات الأمور السياسية من حوله، وليس بالضرورة أن تكون هذه التصورات نابعة من فهم دقيق، لكنها يكفي كـ (أيديولوجيا) أن تكون معبرة عن تصورات وفهم الفرد لها .

ولا شك أن من يُطالع روايات أحمد رفيق عوض يتبيَّن بوضوح أن دراسة الإيديولوجيا السياسية في رواياته ليست في أي حاجة إلى الإحالة على ما هو خارج الرواية

---

[1] هيود،أندرو: مدخل إلى الأيديولوجيا السياسيةط1، ترجمة :محمد صفار، المشروع القومي للترجمة، المركز القومي للترجمة، القاهرة ، مصر، 2012 م . ص: 10 .

أو النص". بل هي متواجدة ضمنيا في النص، فهي تنشر ملامحها وأشرعتها داخل النصوص، فلا نحتاج إلى أن نبحث خارج النص عن إيديولوجيات سياسية خارجة عن ذلك السياق، إذ أن النص الروائي متشبع بتلك الإيديولوجيا التي هي بالأساس انعكاس واضح للمتغيرات الطارئة، والإيديولوجيات التي ساهمت في نشوء هذا النص الروائي باعتباره مجسدا لمجموعة من أيديولوجيات متصارعة هي المحور الرئيس لكل تحليل[1].

ومن هنا فإن النص يكشف عن الإيديولوجيات المتناقضة وهذا الصراع الكامن خلف المشهد، وهذه الأنساق المضمرة هي ما يشكل التناقض والتعبير عن صراع الإيديولوجيات المختلفة.

ويقول حميد لحمداني: "إنَّ الرواية تحتوي غالبا على عدد من التصورات يجسدها أبطال مختلفون، ولكنَّ تصور الكاتب يتحكم فيها يوجهها ويتغلب عليها في النهاية، بحيث تكون سلطة الكاتب الإيديولوجية واضحة على القارئ، قد يموهها وقد يجعلها مباشرة، ولكنها تظل حاضرة"[2] .

ومن هنا نتبين أن الكاتب ينطلق في سرده من خلال أيديولوجيته، ولكن على لسان شخوص الرواية التي يعبر كل منهم عن فكرة للكاتب أو تصور معين يريد أن يبلغ به عقل المتلقي.

---

[1] يُنظر :لحميداني ،حميد: النقد الروائي والإيديولوجي من سيسيولوجيا الرواية إلى سيسيولوجيا النص الروائي،ط1، المركز الثقافي العربي، بيروت ، لبنان، 1990 م ، ص: 8.

[2] المرجع السابق، ص: 8 .

وهذا ما يتضح في روايات أحمد رفيق عوض حينما يكتب عن أيديولوجيته السياسية في رواياته، أي أن سلطة الكاتب هي ما يحرك الأحداث، وهي ما تحمله من وجهات نظر ومعتقدات وآراء وتصورات مختلفة يطرحها الكاتب متعددة ومتشعبة ليصل في النهاية إلى أيديولوجيته الخاصة التي تمثل سلطته التوجيهية على النص الروائي، إذن أيديولوجية الكاتب تكون حاضرة دائما مع تعدد الشخصيات وتنوعهم الفكري وصراعهم واختلافهم في النص الروائي سواء كانت ظاهرة أو مضمرة.

ومن خلال ذلك فإننا نحتاج إلى عدة شروح وتأويلات تفسر هذا الاختلاف الإيديولوجي، إذ أن التغير والاختلاف سنة من سنن الكون، وإذا طالعنا روايته عكا ولملوك نجد فيها هذه الأيديولوجيا السياسية التي تعبر عن فكر وتصور أحمد رفيق عوص، ولا سيما أن الوراية ليست تاريخية بقدر ما هي مراجعة للتاريخ اختار الكاتب لها خلفية روحية ووجدانية في لحظات يعتريها التردد والحزن والحيرة، وهذه الخلفية هي عكا وما دار على أرضها من أحداث، وما شهدته من صراعات وشخصيات تاريخية جليلة القدر مثل صلاح الدين الأيوبي الذي عرض الكاتب له من خلال الهزيمة التي لحقت بهفي حصار عكا وتحطم شوكته.

وسبب اختيار الكاتب للحديث عن هزيمة صلاح الدين إنما يأتي من تماهيا وتماشيا مع هذا الواقع المرير، وهذا معنى التماهي ع التاريخ عند عوض، أي أنه يعيد قراءة التاريخ بما يتناسب مع الواقع لاستشراف المستقبل لعل العرب يستفيدون من هذه المراجعات

التاريخية ومن هزيمة بطل مغوار مثل صلاح الدين فكيف إذن بقادة مثل قادة العرب في هذا العصر؟!

إن الأيديولوجية السياسية هنا تتمثل في نظرة الكاتب للواقع السياسي العربي حاليا، وهو أن القادة المسلمين في الماضي أمثال صلاح الدين كانت لهم الحنكة السياسية والمهارات الحربية والعقلية العسكرية الفذة، ورغم ذلك كانت لها هزيمة ذات يوم في حصار وهو السلطان الذي "لا يلهو ولا يلعب، ولا يهذر ولا يهزر، لا يتخذ المعازف والقيان، ولم تسحره الحسان، أو تغرقه الدنان، ورجل زاهد اتار ظهور الخيل والخيام التي ينصبها في السهول والتلال، يأكل اللبن والتمر والجبن والعسل، ولا يُكثر اللحم، كثير الصلاة كثير الاستغفار، يوقر أهل العلم وأهل المعرفة.."[1] .

وقد تعددت أصوات الرواية ، حيث صلاح الدين وغيره من الرموز التاريخية، وكثير من الشعراء الذي تغنَّوا بالانتصارات، وهذت تقنية تناسب البعد الأيديولوجي للكاتب، وفي ذلك تقول حنين إبراهيم معاليي: "إن تعدد الأصوات قد يعني تعدد الأيديولوجيات الكامنة في نسيج الرواية؛ ولذلك فإن الباحثة يمكن أن تتحدث عن أيديولوجيات الشخصيات المتعددة في الرواية التي قد تختلف أو تتفق مع أيديولوجية الكاتب"[2] .

إن قائد بكل هذه الصفات تعرض للهزيمة، في إشارة من الكاتب إلى أن النصر عزيز، لا يمنح اللهُ تعالى بعضَّه لإنسان حتى يمنحه ذلك الإنسان حياته كلها، فكيف إذن بحال قادة العرب الآن الذي هم على النقيض تماما من كل صفات صلاح الدين، فهم

---

[1] رواية عكا والملوك، ص: 76 .

[2] البعد الأيديولوجي في روايتي موسم الحوريات وأبناء الريح وأثره في البناء الفني، ص : 111.

مطبعين مع العدو، ومخذولين، ويدفعون من مقدرات شعوبهم للعدو مقابل أن يظلوا على عروشهم، يطلبون بذلك حماية العدو من شعوبهم، والنتيجة أوضح من شمس الضحى، استبد العدو من العرب سياسيا واقتصاديا وتغلغل في كل مفاصل بلاد العرب فكرا وثقافة وكل شيء.

إن شخصية القائد صلاح الدين تظهر من بداية الرواية حتى نهايتها بشكل ملحوظ ، ولم يخصص الروائي فصلا كام لا لها، فقد أُوردت الشخصية من خلال حديث الشخصيات عنه مثل: ابن جبير، وقراقوش، والمشطوب، وابن شداد، والقاضي الفاضل، وغيرهم ممن سمي فصوله بأسمائهم، وجعل الحديث حول صلاح الدين وسماته عن طريق هذه الشخصيات، ومن الجدير بالذكر أن شخصية القائد صلاح الدين قد ارتبطت في عقول المسلمين بالانتصار في معركة حطين، وكذلك تحرير الأقصى من الصليبيين، فقد تغنى الشعراء والروائيون بهذه الانتصارات في شخصية يرمز لها بالنصر.

إذن هذه الأيديولوجيا السياسية في أدب أحمد رفيق عوض، وهو تصوره للعرب وسياستهم نحو عدوهم، فهو يُظهر المشكلة وينتقدها لتأتي الأيديولوجية واضحة دون الحاجة إلى الإحالة عليها من خارج الرواية.

ويمكننا النظر إلى الأيديولوجيا السياسية من الجانب النفعي، باعتباره حاسمًا في ذلك المقام؛ حيث إن الأيديولوجيا بالنسبة إلى المتكلِّم تهدف إلى إقناع الناس أو استمالتهم من أجل كسب أنصار له ومؤيدين؛ وذلك من أجل تحقيق الغلَبة في الميدان الاجتماعي، ومن هذا المنطلق نجد أن الأيديولوجيا السياسية ترتكز على عناصرَ اجتماعيةٍ أهمُّها الطبقة أو

الفئات الاجتماعية المنتمية إلى المجتمع، أو العالم على مستوى العقائد الكبرى مثل الإسلام أو العولمة أو الشيوعية.

وعلى هذا الأساس نجد أن خطاب أحمد رفيق عوص موجَّه في أكثره إلى المجتمع الذ يريد أن يبث فيه الوعي والفهم بحقيق ما يُراد لهم وبهم في هذه المعمعة وهذا الوسط السياسي المُدار في الخفاء.

وقد كان توجه أحمد رفيق عوض في ورايته (القرمطي) مثل توجهه في رواته (عكا والملوك) إذ انه استدعى التاريخ للتعبير عن أيديولوجيته السياسية، والرواية تتحدث عن حقبة تاريخية في العصر العباسي، وبالتحديد في خلافة المقتدر بالله الخليفة العباسي وما كان منه من فساد إداري في خلافته، وتحدث الكاتب فيها عن الأشاعرة والمعتزلة، ودعوة المقتدر، وأفعاله، وكان حضور القرمطي قليل جدا إلى جانب هذه الأحداث وتلك الشخصيات، ورغم قلة حضور القرمطي إلا أن يُشيع جوا من الخوف والرعب والقتل من خلال غاراته وتهديداته، فبظهر ذلك بوضوح في أول الرواية التي يستهلها الكاتب بحالة بغداد التي تعيش حالة من الرعب والخوف نتيجة دعوة القرمطي التي نتجت عن الفساد والضعف وفساد الخليفة المقتدر.

ومن هنا نتبين أن اسم الرواية يحمل بعدا سياسيا من خلال محاولة إسقاط الكاتب هذه الأحداث على الواقع العربي، ولا سيما في العراق، فقد تناسب موضوع الرواية مع

الأحداث المعاصرة للكاتب، وقد دل على ذلك الإهداء والخاتمة في الآن نفسه، إذ يقول: "إلى الذين يواجهون القرامطة.. حتى اللحظة"[1]، وقوله في الخاتمة: "الرواية مستمرة"[2].

وتتجلى الأيديولوجيا في قوله:

"كل شيء إلى خراب، حتى بساتين الخلافة دب إليها الخراب، من جهة اليمين كانت هناك طريق تؤدي إلى بيت الحكمة، ومجلس الشرطة، ولكن نازوك ولأسباب لم يكشف عنها سدَّها بحجارة وسداء أتى بها من الموصل، قيل يومها: إن نازوك أراد من وراء ذلك أن يضطر الناس إلى سلوك طريق مسجد عتاب للوصول إلى بيت الحكمة ومجلس الشرطة، وبهذا يمنع الناس من المرور من أمام بيته الواقع بين السوق وبيت الحكمة، يومها تحسر الناس على أيام المحتسب أبي سعيد الاصطخرلي الذي أقام العدل وضبط السوق دون أن يسفك نقطة دم واحدة..."[3].

إن الكاتب يُشير إلى الوضع السياسي الذي يُعايشه ويراه بوضوح، إذ أن كل شيء إلى خراب، ولا يرى إلا سبيل الرجوع إلى التاريخ والماضي لأخذ العبرة والدرس، فما شأن الخلافة في هذه الفقرة إلا مجرد إسقاط على الوقاع الذي يعيشه النظام الحاكم في العراق، أو الأنظمة العربية بصورة عامة التي افتقد الناس معها العدل.

ولعل ما يدل على إسقاط الكاتب لصورة الخلافة هذه على الواقع المحالي هو هذا الحوار:

---

[1] عوض،أحم درفيق :رواية القرمطي، بيت المقدر للنشر والتوزيع، رام الله – فلسطين، (د. ط) سنة 2001 م ، ص: 276 . ص: 4 .

[2] المصدر السابق ، ص: 276 .

[3] رواية القرمطي، ص: 9 .

" ـ هل تعتقد أنن مؤنس سيقتل الخليفة لا محالة؟!

ـ اعتاد مؤنس قتل الخلفاء... هل نسيت؟!"[1].

فلعله أراد بـ (مؤنس) الشعب) وأراد بالخليفة الرئيس أو الحاكم لبلد عربي في العصر الراهن، ويشهد التاريخ المعاصر انتهاء كثير من الحكام العرب بالثورة أو الانقلاب أو الاغتيال أو غيره، المهم الخلاص منهم بشكل قسري وجبري، وقد اعتاد الشعب ذلك بعد تضييق الخناق عليه.

أما إذا تحولنا إلى روايته (مقامات العشاق) نجد أن الأيديولوجيا عند أحمد رفيق عوض كائنة في كتابته عن الواقع بصورة مباشرة دون الحاجة إلى استدعاء التاريخ وأحداث الماضي، ولا سيما كتابته عن إسرائيل والكيان الصهيوني المحتل لبلاده، فهنا تتضح أيديولوجيته السياسية بوضوح شديد، ومن ذلك قوله على لسان الراوي:

"قال التافه بن التافه أننا أمة لا تجيد سوى الكلام، وقارن بين بيت الشعر وبيت الشعر، وانتهى إلى القول إن العقلية العربية عقلية مُسطَّحة تميل إلى التركيب لا إلى التحليل، وبكى وهو يقول إن التراجيديا الإغريقية تجاوزتنا... وحسب ما جرى فقد قسمنا بلادنا إلى ما يلي: ما وراء الخط الأخضر، فإنه إسرائيل التي تدعمها الأمم المتحدة والولايات المتحدة والقلوب المتحدة في المحافل، وما بعد الخط الأخضر فقد قُسِّمَ إلى منطقتين: منطقة ألفْ وتضم معظم قطاع غزة، وكل المدن في الضفة الغربية، وفي هذه المنطقة تتواجد السلطة الوطنية الفلسطينية التي عادت معظم قواتها حسب ما جرى من اتفاقات ومواثيق

---

[1] رواية القرمطي، ص: 11 .

وعهود ومنطقة باء فهي كل القرى والمجمعات السكنية الأخرى التي أوكل الأمن الداخلي فيها إلى الفلسطيني، أما الأمن الخارجي فهو بيد الجانب الإسرائيلي، وتسألون عن القدس.. الأقحوان المقدسة.. نعم، يقول المذيع العربي في الإذاعة العربية إنها عاصمة إسرائيل إلى الأبد، ولا أحد يملك الأبد إلى الذي خلقه..."[1].

إن هذا الحديث يُجلِّي بوضوح الأيديولوجيا السياسية عند أحمد رفيق عوض، الذي تتكشَّف رؤيته وتصوراته عن تمييع قضية فلسطين في المحافل الدولية، حيث لا يجيد العرب شيئها حيالها سوى الكلام، مجرد ديكور، فالكلام وحسب، بل الكلام الفارغ التافه الذي لا جدوى من ورائه إلى قيام الساعة، فمنذ احتلال فلسطين من أكثر من سبعين سنة والعرب يتكلمون عنها ويعقدون لها القمم العربية.

وذلك ما تكشف عن أيديولوجية الكاتب الذي يرى أن العقلية العربية عقلية مسطحة تميل إلى التركيب لا إلى التحليل، وكانت النتيجة هي تقسيم فلسطين وزيادة المستوطنات اليهودية يوما بعد يوم وكأن كلام العرب لا يزيد الإسرائيليين إلا إلى المزيد من الأراضي والمستوطنات.

ولا شك أن الأيديولوجيا السياسية عند أحمد رفيق عوض تتوافق إلى درجة كبيرة مع ما ذهب إليه إيجلتون في رأيه حول العلاقة بين التاريخ والنص، إذ أن التاريخ كما يرى إيجلتون – يُدخل النص بوصفه أيديولوجية، والتاريخ الواقعي حاضر في النص، ولكن بصورة مُقَنَّعَة، في صورة غياب مزدوج، أي أن النَّص الأدبي لا يتخذ التاريخ هدفاً مباشراً

---

[1] عوض،أحمد رفيق: رواية مقامات العشاق،ط1، منشورات دار الفاروق للثقافة والنشر، نابلس – فلسطين، أذار، سنة 1997 م.ص: 9 – 8 .

له؛ لأنه لا يُحيل إلى أوضاع بعينها، بل إلى تشكيلات أيديولوجية أنتجتها أوضاع بعينها، ومن ثمَّ فهمٌ يحيل بصورة غير مباشرة بالتاريخ[1]، ومن هذه العلاقة، يأتينا إيجلتون بتعريف للنص، فهو "نسيج من المعاني والإدراكات والاستجابات الملازمة لإنتاجه التخيلي للواقع"[2].

فالأيديولوجيا السياسية في هذا النص تكشف عن فهم وتصور الكاتب، غير أن هذ التصور هو ما أنتجته الأحداث والوقائع السياسية التي يُعاصرها ويشهد عليها، وهي – كما يذكر إيجلتون – واقع تاريخي مقنَّع، فالتاريخ أو السياسة نفسها ليست هدف الكاتب، وإنما يسوق النص وفق معاني وإدراكات خاصة به أنتجت هذه الأفكار التي صاغ بها فكره وتصوراته.

إن الأيديولوجيا السياسية، تعني أن يلتزم بها الرجال السياسيون والمفكرون إلى حد بعيد، بحيث تؤثر في حديثهم، وعملهم وسلوكهم السياسي، وتحديد إطار علاقتهم السياسية بالفئات المختلفة في المجتمع، وهذا ما قام به أحمد رفيق عوض، إذ أنه التزم بها بتوضيح أفكاره ورؤاه السياسية بكل وضوح.

ولا شك أن الأفكار السياسية لا تنشأ من فراغ، ولكنها تتكون نتيجة الظروف السياسية والاجتماعية والاقتصادية، وترتبط بحياة الناس سياسيا؛ فلا يرون العالم كما هو، لكنهم يرونه كما يتوقعون أن يكون، أو بوجود حاجز من المعتقدات، أو الافتراضات المتأصلة، ومن هنا ارتبطت الأيديولوجيا السياسية عند رفيق عوض بالطبقات الاجتماعية.

---

[1] يُنظر: إيجلتون، تيري: النقد والأيديولوجية، مقدمة المترجم،ص:16.

[2] المرجع السابق، ص:16.

وتكشف رواية (آخر القرن) عند أحمد رفيق عوض عن الأيديولوجيا السياسية عنده، نتبين ذلك في الرواية في الحديث عن المفاوضات حين يأتي دور المثقف بعد أوسلو متراوحا بين معارض وموافق، فمن وافق اعتبره خطوة أولى في طريق الدولة، ومن عارضه وجده هزيمة كبيرة في تاريخ الشعب الفلسطيني، وقد اعتبره عوض هزيمة من خلال ما أورده على لسان بطله محمود السلوادي في الرواية (آخر القرن) مواضع كثيرة، إذ أبرز خطورة هذه المرحلة على الرغم من صعوبة الحديث عنها، فصور لنا الكاتب هذه المرحلة، وكانه مراقب محايد يحاول التغيير من خلال قلمه كما ويقدم الحلول، والإجابات لأسئلة عالقة في ذهن المواطن من خلال تقديم عالم من اللغة، والخيال القريب من الواقع؛ فعبر لنا عن موقفه الرافض من الاتفاق، بالتركيز على مرحلة حرجة يكشف الكاتب عن العبثية التي تحيط بالمفاوضات من خلال عدم تكافئها من جهة، ومن خلال تناقض الفلسطيني من جهة أخرى؛ فأخو محمود السلوادي المفاوض من أجل حل المستوطنات يعمل في بناء المستوطنات بسبب فارق الأجر، وهذا الواقع غير المثالي الذي عبر عنه عوض كان من خلال شخصية أبي يزن الذي عاش عمره خارج فلسطين راسما لها ولأهلها صورة ملائكية، وتتحطم تلك الصورة بمجرد أن يبدأ بالتعامل مع الشخصيات المختلفة، حتى التناقض من ذات المجتمع الذي كان يراه في مخيلته[1].

[1] يُنظر: رواية آخر القرن، ص: 61 .

وإذا نظرنا هذه الاقتراحات والملاحظات التي قدمها محمود السلوداي إلى دائرة المفاوضات الفلسطينية[1]، وجدنا أنها تمثل أيديولوجية عوض بكل وضوح، فمما جاء فيها كاشفا عن أيديولوجية الكاتب عن إسرائيل:

"لا تطرح على الإسرائيلي حلولا أو مقترحات، اجعله يفعل ذلك بنفسه، ليقوم هو بتعديل مشروعة أو مقترحه، اجعله يُناقش نفسه، الإسرائيلي يحب ذلك، الإسرائيلي يُحب دائما أن يُراجع ذاته، ويُقيم أفكاره بنوع من الوسواس التسلطي، استغل ذلك واجعله يُقيم ويراجع مقترحه، هذا مفيد جدا"[2].

إن الكاتب أراد من هذا النص أن الإسرائيلي لا يسمع صوتا إلا صوته هو، ومن هنا فإنه لا معنى عند عوض لوجود أي مفاوضات مع إسرائيل وما هذه المقترحات التي ساقها على لسان محمود السلودي الذي ذهب ليُفاوض إسرائيل إلى طريقة ساخرة من سياسة العرب أو النظام الفلسطيني الحاكم بصورة خاصة، وكأنه ينصح لمن ذهب ليُفاوض إسرائيل بقوله (إن إسرائيل لا تسمع صوت الآخر، لأنه لا يوجد آخر في سياسة إسرائيل أو ثقافتها من الأساس!!) .

إنها رؤية أحمد رفيق عوض – من الوِجْهة السياسية – عن المفاوضات مع إسرائيل، تلك المفاوضات التي لم تنفع فلسطين بأكثر مما نفعت به إسرائيل نفسها، حيث إنها تظفر مع كل مفاوضات بالمزيد من الوقت، وهذا أكثر ما انتصرت به إسرائيل وتضخمت بواسطته كخلية سرطانية في جسد الأمة.

---

[1] يُنظر: المصدر نفسه، ص: 61 .

[2] المصدر نفسه، ص: 63 .

في الرواية نفسها (آخر القرن) يظهر عوض موقفه من المفاوضات وأسلو من خلال اختيار الزمان والمكان اللذين شكلا مسرح اللقاء بين السلوادي وحاييم، فقد كان حاييم يمجد شهر حزيران ، بينما كان السلوادي يستذكر الهزيمة التي أطاحت بالعرب في هذا الشهر، ليرد على الأول نحن ننتصر في كل وقت ، لم يهمل رفيق عوض تحولات الشخصية الفلسطينية، فالسلوادي الذي كان أسيراً في عام 1989 م صار مفاوضاً للاحتلال على حقوق الشعب الفلسطيني من خلال ما يتمتع به من براغماتية سمحت له أن يتقلد تلك المهمة ، إذ أن الشخصية كانت محورا مهماً في التعبير عن الموقف الأيديولوجي في رواية آخر القرن، وعند ذكر الكنعانيين كان يقصد ثقافتهم التي تميل إلى التحرر، والفلسطيني يجب أن يتأثر بهذه الثقافة الكنعانية المتحررة والفرعونية الأصيلة، التي بُنيت على القوة، وجاء هذا رداً على الاتفاقيات التي عقدتها السلطة الوطنية مع الكيان الصهيوني، التي على إثرها تم تقسيم فلسطين بين اليهود والفلسطينيين أنفسهم، وإذا كان ذكر الكنعانيين أصحاب الحق والسيادة الفلسطينية قبل آلاف السنين، فقد وظف أيضاً بنوداً من التوراة التي أوردت أن اليهود أول من بنوا قرية (البطمة)، قبل ثلاثة الاف سنة، وأن ما فيها من أشجار وقلاع وتلال يزعمون أنها لهم[1].

ويوظف أحمد رفيق عوض أيديولوجيته السياسية ليظهر مدى العبث في السياسة العربية والفسطينية تجاه قضية فلسطين، نتبين ذلك من الحوار: "

ـ قل لي حقا.. هل تعتقد أن حل القضية الفلسطينية لن يكون إلا بحرب أم بتسويَّات رخوة؟!

[1] رواية آخر القرن ، ص176.

ـ أهذا سؤال دين أو سؤال تاريخ؟

ـ كلاهما!

ـ أنا أفهم في السياسة فقط!

ـ وماذا تقول السياسة؟

ـ الفرق بين السياسة والتاريخ كالفرق بين المراهق والعجوز.

ـ قل لي إذن، كيف يزداد الوعي ثم يقل العمل؟!

ـ لا أدري، حقًّا لا أدري!..."[1].

إن النص يحمل تناقضا عجيبا، فقد يكون المراهق مقصود به الكيان الإسرائيلي الذي لم يمر عليه سوع بضعة عقود من الزمن فقط! وقد يقصد بالعجوز العرب أصحاب الأرض والتاريخ الممتد إلى آلاف السنين، ولكن الواقع السياسي يشير إلى شيء آخر هو النقيض تماما، إذ ان هذا المراهق – الكيان الإسرائيلي – من يستأثر بالأمر كله بحنكة سياسية، ولكنه يملك أيضا السياسة وأساليبها التي خبرها جيدا في هذه الفترة القليلة جدا من عمره، بينما العجوز – العرب – لن يتعلم طوال هذا الزمن من التاريخ، ولم يقرأ الدرس ويعيه جيدا.

وهذا ما يدفع عوض لتوظيف أيديولوجيته في هذا التساؤل: (كيف يزداد الوعي ثم يقل العمل) وما أكثر ما ازداد وعي العرب حيال قضيتهم، وعلى الرغم من ذلك (لا عمل لهم!) وهنا يأتي الخروج المنطقي والعقلي جدا من الكاتب حيال هذا التساؤل وهو جوابه (لا أدري...!) ليشير من خلال لك إلى عبثية الموقف.

---

[1] رواية آخر القرن ، ص : 173 – 174 .

إن مضمون الخطاب الأيديولوجي السياسي عند عوض، فهو يحتوي على نقيضه، ومن خلالها تُفصِح الأيديولوجيا عن مضمونها الجدالي؛ لأن الأيديولوجيات المتجادلة ليست على مستوى واحد من الطبيعة والتوجه، كما أنها ليست على مستوى واحد من حيث الواقعُ والتصوُّر، فمنها الطبقية كالماركسية، ومنها غير الطبقية كالقومية والعقائد الدينية التي لا يمكن تحوي لُها إلى طبقة، والمهم أن مثل هذه الأيديولوجيات السياسية – باعتبارها فعاليات مهمة – قد تُظهر الأطراف المؤدلجة على حقيقتها أمام المجتمع، حتى وإن لجأت إلى الأقنعة أو البراهين المنطقية الصُّورية، والمعطيات المادية الملموسة؛ فقد تستند إلى معيار قانوني أو روحي .

ولا شك أن أي محاولة لتحليل العملية الإيديولوجية تعود إلى مشكلة المعنى، ومن ذلك يكون المدخل إلى موقف الكاتب من أعماله الروائية بصفة خاصة، فهو من جانب لا بد أن يوضح أو يعبر عن فرديته، أي عن أيديولوجيته ومن جانب آخر لا بد أن يعبر عن الواقع السياسي في وطنه، وهذا يعني "أن القارئ الواعي بعملية القراءة يبحث عن بنية فكر الفرد المبدع في إطار بنية فكر المجتمع الذي يعيش فيه"[1].

إن أحمد رفيق عوض لم يغفل في أدبه الروائي الأيديولوجيا السياسية، ولا سيما فيما يتعلق بالشأن العربي الإسرائيلي، فهذه قضيته الأولى التي استحوذت كثيرا على أكثر أعماله الروائية، بل لا يكاد يخلو عمل روائي له من قضبة فلسطين المحتلة من الكيان الصهيوني.

[1] إبراهيم،نبيلة :فن القص في النظرية والتطبيق،ط1 ، مكتبة غريب، سلسلة الدراسات النقدية، دار قباء للطباعة، ص: 39 .

ومن خلال ذلك ترى الباحثة أن إسرائيل عند عوض من أشد الدول تعصبا لأيديولوجيتها السياسية، إذ انها تصعد وتتقدم بسرعة جداً، أما خنوع الطرف العربي واستكانته، والذي أوشك على السقوط والانهيار، أو بمعنى أدق أوشكت أنظمته وحكوماته على ذلك ، ولا شك أن أشد خطر على الدول هو تعصبها لأيديولوجيتها وعنصريتها المفرطة، ويستوي في ذلك الكان الإسرائيلي والأنظمة العربية الجائرة على شعوبها.

كما أن عدد الأيديولوجيات – السياسية – في العالم يقدر بعشرات الأيديولوجيات، وعلى سبيل المثال لا الحصر "الأيديولوجيا الصهيونية، والأيديولوجيا النازية ، والأيديولوجيا القومية،....الخ ،لكن الأيديولوجيات الأكثر انتشاراً هما الأيديولوجيتان الرأسمالية والنازية، بالإضافة لأيديولوجيات العالم العربي والإسلامي بسبب التدخل الأجنبي في الدول العربية التي تكمن في أيديولوجيا القومية العربية ،والأيديولوجيا الإسلامية .

وفي روايته (بلاد البحر) يُجري عوض هذا الحوار الذي يوظف من خلاله الأيديولوجيا السياسية:

"يا والدي، عن أي دائرة تتحدث، قل لي كيف أُحدد فلسطين؟! فلسطين لم تعد بين البحر والنهر، ولم تعُد ما يُسمى بالضفة والقطاع،؟! قل يا والدي بالله عليك هل يُمكن أن يعيش الكائن في دائرتين مُتباعدتين؟!

يا والدي الحبيب.. بلادنا تنقسم كقطعة الجبن البيضاء!

هل ذهبت إلى برطعة القريبة من قدرون، أليست برطعة نصفين؟!

أليست رفح نصفين؟!

أليست القدس نصفين؟!

أليست عناتا نصفين؟!

أليست السواحرة نصفين؟!

ثم ألم تُسم مُدننا وقُرانا بعد العام 2000، فصارت نُتفًا ومُزقًا بفعل الحواجز العسكرية والسواتر الترابية والحجرية؟! أين دائرتي يا والدي التي أحددها براحتيَّ أو بلمسات أصابعي؟!..."[1].

إن الكاتب يوظف أيديولوجيته السياسية ليكشف عن تهميش فلسطين وتقسيمها حتى أصبحت مُزقا متفرقة، وذلك ليسهل على الكيان الإسرائيلي ابتلاعها قطعة بعد أخرى حتى يصل إلى تحقيق أهدافه فيها، وهو الاستيلاء على كامل الأراضي الفلسطينية، وربما منها إلى بقية بلاد العرب.

ومن هنا نتبين أن الأيديولوجيا السياسية عند عوض وظَّفها في رسم ملامح الشأن السياسي الفلسطيني بخاصة، ثم العربي بصفة عامة مع الكيان الإسرائيلي وما كان من العرب من الخنوع والدعاء الكاذب بالوقوف بجانب القضية الفلسطينية، وهم منذ سبعون سنة أو يزيد لا شأن لهم غير المفاوضات على طاولات القمة العربية!!

كل ذلك نلمسه بوضوح شديد في هذه الأيديولوجية السياسية التي وظفها أحمد رفيق عوض ليكشف عن كل هذه التداعيات السياسية عند العرب والغرب، والتي جعل من قضية

---

[1] رواية بلاد البحر، ص: 209 – 210 .

فلسطين محورا رئيسا ومُعالجا موضوعيا لأيديولوجيته السياسية حول هذه الأحدث واستشرافه للمستقبل من خلالها.

تداخل الأجناس الأدبية في روايات أحمد رفيق عوض

إنَّ تداخل الأجناس الأدبية ليس ظاهرة جديدة في الأدب العربي، أو مستحدثة من هذا الأديب، أو ذاك، فهي ظاهرة مثلت أشكالاً لبعض الأدباء، أو النقاد لتداخل هذه الأجناس فيما بينها، أو بعضها، وهناك بعض النصوص المنفتحة على بعضها، وتشكل ظاهرة إبداعية عند الأدباء، وسبب وجود هذا التداخل عدم وجود موانع، أو آليات تعمل كدرع حصين داخل الشكل الفني، ولا يمكن أبدا منع هذا التداخل.

والرواية هي من الأجناس الأدبية التي تمثل هذا التداخل من الأجناس، لأن شكلها غير نهائي فمنها ما تستعين بالوسائط الالكترونية، كالصوت، والصورة، والفيديو في بناء خطابها، وهذا ما يشكل تحديا للأدب، ويمكن أن يكون هذا التداخل سلاحا ذا حدين، فالمبدع مطالب دائما بوجود عمل أدبي غير مفكك، فعند رفيق عوض أتى تداخل الأجناس بشكل طبيعي؛ فاختلطت في الروايات، والشعر، والحوار، والسرد، والتناص بأنواعه، ومن خلال ذلك سترصد الباحثة بعضا من هذا التداخل للأجناس الأدبية عند رفيق عوض، ومنها:

الشعر: ظهر قليلا في الروايات المدروسة، وجاء هذا الشعر في مستويات عدة، فمنه الزجل الشعبي، ومنه المسترسل والموزون، ومنه ما قيل عن عفو الخاطر، يقول:

يا أعز الحبايب يا أغلى من عمري

أنا وأن كنت طفل وصغير عمري

ثم يقول في قطعة زجلية:

أنا رحت بلاد الشجعأن

أسأل عن خمرة القوة

لقيت الشيخ سليمان

وصيته بالصحرا يدوي

ويقول أثناء نشوة الرقص والبكة:

حبيبي شجر سرو

ملفع بالعباية حلو

فهذه بعض المقاطع الزجلية، أو الشعرية التي وظفها عوض في رواياته ولم نرَ توظيفا للشعر الشعبي في رواياته، يقول شحروري: إننا نقع على أشد سقطات الكاتب في هذا الشعر الشعبي الذي يحشده ولا يوظفه، وهناك نصوص من أتعس ما قرأت، أو سمعت، وهذه جناية على تراث شمال فلسطين وقراها[1].

وهناك بعض الأبيات الغزلية التي غنتها جارية في حضرة الخليفة المقتدر في بغداد تقول:

خليلي هل أبصرتما، أو سمعتما

بأكرم ما مولى تمشي إلى عبدي

أتى زائرا من غير وعدا وقال لي

[1] شحروري ،صبحي: العذراء والقرية بين الاكراهات الواقعية والاستعانة بالسحري، مقاربات نقدية جمع: علي خواجا.

أجلك عن تعليق قلبك بالوجدي

إنَّ هذه الأبيات الشعرية، وغيرها من خلال الراقصة التي تشهر اللذة، وتخفي الحزن والألم، وأي تداخل في الشعر لم يأتِ من عفو الخاطر، بل هو دليل على وعي الكاتبِ وحرصه على عدم حشر أبياته داخل النص بلا معنى[1].

النصوص المستخدمة في الروايات التي تحمل الأيديولوجيا بأنواعها

إذا كان الأدباء والشعراء قد ارتكزوا على التناص بأنواعه المتخلفة، في كتاباتهم، فإنّ أحمد رفيق عوض، في استخدامه للتناص يعبر عن أيديولوجيا موجودة بين المجتمع الفلسطيني وأفراده، فهناك توظيف للإشارات الدينية من اقتباس، أو تضمين تضفي حالة من التقرب إلى الخالق، والعلاقة بين الإنسان والمنهج السماوي والخير، وتأتي من خلال شخصيات دينية تحمل أبعاداً إيجابية في تاريخ فلسطين، أو غيره، ثم استخدام بعض الآيات، أو الأحاديث النبوية التي فحواها الدعاء، أو التقرب إلى الله أيضا، فنجد على سبيل المثال في رواية القرمطي، بعض النصوص هذه وتوظيفها في مضامينه الروائية، فاستشهاد عوض بقوله تعالى: {**فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ**}[الكهف: 29]، التي قالها على لسان الجهشياري، عندما قدم إلى مكة، وقربه من الأمكنة المقدسة فانتابته محبة الرسول (صلى الله عليه وسلم)، وهذا من باب التهديد والوعيد في قول الله تعالى، عندما قال لسيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم)، (إن الذي جئتكم به، هو حق ولا شك فيه)، وقوله تعالى:{**فَمَن**

[1] قطوسة ،حسن: توظيف التاريخ في رواية أحمد رفيق عوض ،جامعة القدس، القدس –فلسطين،2013.

شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ} [الكهف: 29]، وقوله أيضا على لسان الجهشياري، بقوله تعالى:**{ إن الله ربي وربكم فاعبدوه}** [آل عمران: 51]، عندما كان يسعى بين الصفا والمروة، والمناسبة عندما قال أبو جعفر: "بأنني توكلت على الله من أن تصيبوني أنتم وجميع الخلق بسوء وأن كل ما على الأرض خاضع لسلطأن الله تعالى"، ثم ذكر آية الكرسي **{اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ۖ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ}**[البقرة: 255] مؤمناً بأن الله لا إله إلا هو، هو من يتحكم بالخلق، وسبب ذكرها أنها لما نزلت على النبي (صلى الله عليه وسلم)، سجد كل صنم، وخر كل ملك وسقوط تيجانهم، وضربت الشياطين بعضهم بعضا، وعندما أخبروا إبليس بذلك أخبرهم بأن آية الكرسي قد نزلت على الأرض.....

ثم نرى توظيف الكاتب الآية **{وَالسَّلَامُ عَلَىٰ مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَىٰ}** [طه: 47]، ليدل على أن رد السلام واجب بين المسلمين، ثم توظيفه الآية القرأنية على لسان الصولي **{وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ}** [القصص: 5]، وذلك عند محاولة الصولي دخول مكة واعتراضه لأعلام حمراء مكتوب عليها هذه الآية، فشعر برهبة اتجاه المسلمين، ولم يأذن له بالدخول حفاظا على شعائر الحج، وقد وفق الكاتب عوض في اختياره للآيات القرأنية ليبين لمن حقدوا على الدين الإسلامي، بأن الله يحمي المستضعفين وهو معهم، وقوله أيضا على لسان أبي حفص بأنه قال: إن الآية في القرآن تقول: **{وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا}**[آل عمران: 97]، وأن الله آمنكم من خوف، فلو كان لكم آله

لما ضربناكم بسيوفنا، فذوقوا الآن حتى لا تنسوا جراحات سيوفنا، فقد وظف الكاتب هذه الآيه عند دخول القرمطي بشكل غادر مكة، والمؤمنون يطوفون حول الكعبة، فالقرمطي وجيشه مسلحون، والمؤمنون باللباس الأبيض، ولم يستعدوا للحرب، فقتل أكثر من عشرين ألف حاج غدرا مذبوحين، ثم قوله في الآية التالية **(هذا ماء عذب خفيف؟؟؟ من أين هذا؟؟))**، بعد شرب المؤمنين من ماء زمزم وأنه صالح للبدن والدين، ثم قوله تعالى:**{وَمَا يَسْتَوِى ٱلْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَآئِغٌ شَرَابُهُۥ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ}**[فاطر: 12] ليدل على عدم استواء البحرين فأحدهما عذب والآخر أجاج مالح، مر، غير صالح للشرب.

أما الأحاديث الشريفة الواردة في رواية القرمطي، (والحديث يعرف بأنه كل ما ورد عن الرسول من قول، أو فعل، أو تقرير، أو صفة، ويأتي المصدر الثأني بعد القرأن الكريم)، فقد جاء في الرواية قول النبي (صلى الله عليه وسلم): (ماء زمزم لما شرب له)، فيريد بأن يقول إن على الإنسان أن يتوكل على الله، وبما أن زمزم في مكة والقرمطي ذهب إلى مكة، فالأصل أن يشربوا من زمزم بنية القضاء على جيش القرمطي، وقوله في الأدعية الواردة في هذه الرواية مثل قوله: (لبيك اللهم لبيك)، وقوله: (قاتلك الله يا صولي).

أما ذكر التاريخ في هذه الرواية فقد أكثر من ذكر الخليفة السكّير، الذي كان دائم المطاردة لكهرمأنة، والغلمأن، والجواري، وهو ثمل، وهذه الأسباب التي أدّت إلى خلع الخليفة، وتولي أخيه، وذكر قائد الشرطة(نازوك)، الذي يرمز إلى الحقارة، والكره، والاستعلاء، وفي النهاية قتل على يد العبيد بتخطيط من أم المقتدر التي كانت متصرفة بكل شيء.

أما الموروثات الشعبية كالأمثال، والحكم، فقد وجدت في رواية القرمطي في قوله (سنكون كالأيتام على مائدة اللئام)، وذلك ذكر الناس أيام القرامطة، بدون قيمة، ولا أخلاق، فهم بدون موجه، أو مطعِم، أو ساقٍ، وقوله (الناس على دين ملوكهم)، بمعنى أن الناس يتبعون أمر الملك والحاكم في البلاد، وأن الطعن وقتل النساء جائز بأمر الخليفة، وقوله أيضا (أفعالنا رُدَّت إلينا)، عندما قالها الكاتب على لسان ابن دريد، حين سأل الخليفة الناس عن خلعه، وتنصيبه، كان ابن دريد يريد التنصيب وخلع الخلفاء من أفعال الناس.

وتوظيف الأغاني على شكل زجل كقوله:

إنما الصولي شيخ أعلم الناس خزأنة

أن سألناه بعلم طلبا منه إبأنه

قال يا غلمأن هاتوا رزمة العلم فلأنة

أما في **رواية عكا والملوك**، التي بدأها على لسان ابن جبير في قوله تعالى {**قُلْ سِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ**}[العنكبوت: 20]، وهذا الخطاب للنبي (صلى الله عليه وسلم) ليذكر المنكرين في البعث بعد موتهم، ليري الجاحدين كيف بدأ الله الأشياء، وكيف ينهيها، ولا يتعذر عليه شيء قال تعالى:{**اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ**}[العنكبوت: 20]، بما أن الله يبدأ، فإنّ الله يعيد، وقوله عن الأرض {**يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا**}[الزلزلة: 4]، أي بأعمال الناس يوم القيامة وهم على قيد الحياة، فقد وفق عوض في اختيار الآيات القرآنية، ليقول للقارئ: إن عليه التوكل على الله في كل أموره، والله مدبِّر الأمور، لأن التوكل على الله تعالى أفضل الحالات للنجاح والخلاص، وقوله أيضا{**وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ**}[آل

عمران: 140]، يقول المفسرون: إنها تقصد أيام بدر وأيام أحد، والناس المسلمون والمشركون، فقد قتل المسلمون من المشركين في يوم بدر سبعين رجلا، وأسروا سبعين آخرين، وقتل المشركون من المسلمين يوم أحد سبعين رجلا، وقد وفق الكاتب في اختيار هذه الآية، بأن الدنيا متقلبة لا تُبقي على أحد (يوم لنا ويوم علينا)، وقول الكاتب أيضاً: (كانا مثل طير من الأبابيل)، التي تحمل حجارة مسومة لا تخطئ، ولا تخيب، لمطابقة الحال في العساكر المتلاحمة عندما أبلوا بلاء حسنا في المعارك، فقد شبههم بطيور الأبابيل التي لا تخطئ، ففر القائد وحصر جيشه، وأن الآية مأخوذة من قوله تعالى:{**وأرسل عليهم طيرا أبابيل ترميهم بحجارة من سجيل**}[الفيل: 4]، وذلك عندما وصف الله جيش أبرهة الأشرم وجيشه، عندما أبادهم في عام الفيل، وقوله أيضا عندما قرأ الأمام في صلاته {**إذا جاء نصر الله والفتح، ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا، فسبح بحمد ربك واستغفره أنه كان توابا**}[الفتح: 1 . 3]، فالآيات عبرة لمن يعتبر، وأن نصر الله قريب، حتى ولو بعد حين، والأصل عدم القنوط من رحمة الله .

ووظف الكاتب من الخطب المشهورة، ما أمر به أبو بكر الصديق جيشه في حربه ضد الروم: (ألا تقطعوا شجرة، أو تحرقوا زرعا، ولا تقتلوا شيخا، أو عابدا، أو طفلا، أو امرأة)؛ ليدل على أن المسلمين رحماء، ليري الفرق بين المسلمين الأوائل أثناء الحروب، والمسلمين اليوم، ثم قوله عن المعركة الفاصلة بين المسلمين والطرف الآخر كما تحدث عنها الكتاب المقدس، وهي (معركة هار مجيدون)، استعداداً لنزول المسيح المخلص من الآثام.

فقد ذكر من الشخصيات التاريخية في هذه الرواية صلاح الدين الأيوبي كرجل مثالي يقتدي بأعماله، فقد كان به حزم وتدبير وشجاعة، لهذا جاءت هذه الرواية لتعالج الوقائع الفلسطينية، ملقية الضوء على الهزيمة، وأن شخصية صلاح الدين ترمز إلى النصر.

ثم ذكر شخصية (قارقوش)، كشخصية تاريخية فقد تحول من مملوك إلى أمير، فهي شخصية تاريخية ليدل على الحزم، والقضاء على العنف، أو الشغب، ثم شخصية (ابن جبير) الفقيه العادل، بين التجار والناس، ليقول أن الخير ما زال موجوداً.

في حين نرى توظيف المأثورات الشعبية، ومن ذلك قول الكاتب: (احذر رأسك عند تقلب الدول)، ليخاف من الأسطول الإنجليزي، عندما تنهار دولتهم، وتقال، أيضاً، عند تبديل الخلفاء والأمراء، يجب على الإنسان أن يحفظ نفسه خوفا من الهلاك، وقوله أيضا: (زاد الطين بِلّة)، وقوله: (ضره أكثر من نفعه)، أما الغناء فقد وظفه الكاتب في هذه الرواية على شكل زجل مشهور في قوله:

هجرني حبيبي هجر وأنا ليس لي بعد صدر

ليس حبيبي إلا ودود قطعلي قميص من السدود

وخاط بنقص العهود وحبب إلى السهر

وقوله:

الله الله، هاموا الرجال في حب الحبيب

الله الله، معي حاضر في قلبي قريب

الدلل يا حبيبي وافرح حبيبك حضر

واتهنى وعيش مدلل بين البشر

صلاح الدين صلاح الدين

سيف الدينا سيف الدين

صلاح الدين صلاح الدين

درع الأقصى وسيف حطين

الخاتمة

في ختام هذه الدراسة، نقول إن هناك اختلافاً بين العلماء في تعريف الأيديولوجيا كونها علم أفكار، أو قيم تمارس من خلال الأفراد، وتنتقل من عصر إلى آخر، وارتباطها الوثيق بمكونات الثقافة المجتمعية، فإنّ الباحثة في هذه الدراسة حاولت أن تظهر جانبا غير مدروس في روايات أحمد رفيق عوض، شابكة النص الروائي بالأيديولوجيا على اختلافاتها، وتفكيك هذه الخطوط وتوضيحها، وما تربطه بين الروايات والمعتقدات الشعبية والأفكار والقيم، على اعتبار أن الإنسان لا يستطيع أن يتخلى عن أفكاره ومعتقداته، حتى وأن كانت خاطئة، وهذه الأيديولوجيا تؤثر في الأفراد من خلال سلوكهم الاجتماعي والاعتقادات، واستطاع أحمد رفيق عوض أن يجمع ما بين هذه المادة من خلال رواياته، ومزجها بالأيديولوجيا؛ ليظهر المعنى الذي يريده بشكل واضح يتماشى مع العادات، والتقاليد المجتمعية، كون الكاتب واحدا من هذا المجتمع، ينقل معاناة شعبه ويتبناها.

هذا وقد بدأت الباحثة دراستها في فصلها الأول بالحديث عن سيرة الكاتب والأيديولوجيا بأنواعها وتوظيفها في الأدب العربي، ثم البحث عن ماهية هذا الكاتب الذي عالج قضايا المجتمع العربي الفلسطيني تحت الاحتلال، وكشف اللثام عن بعض العادات الاجتماعية وتفضيل المصلحة الشخصية على المصلحة العامة، ثم عالجت الباحثة في الفصل الثاني الروايات السبع، وما فيها من نصوص تظهر الأيديولوجيا الموظفة فيها التي نوعت من تقنيات السرد، والاستخدامات الفنية عند الكاتب من حيث الاستشراف، والاسترجاع، والتضمين، والتناص بأنواعه، الذي يدل على وجود وعي كامل عند الكاتب، وبذلك استطاع

أن يعطي متعة للمتلقي خصوصا في تعريفه بالشخصيات الروائية التي تحاكي المجتمع الفلسطيني. وقد عمدت الباحثة في الفصل الثالث والأخير من هذه الدراسة على الأيديولوجيات المختلفة كالدينية، والأدبية، والثقافية التي تبناها الأدب بأنواعه ولم يستطع الكاتب التهرب منها، فكانت هناك علاقة وطيدة ما بين النص الروائي، وهذه المعتقدات والأساطير والحكايات الشعبية، التي لم يستطع التخلص منها كغيره من الكتاب.بعد القراءة المتفحصة للروايات إلى استخراج المضامين الأيديولوجية منها، وتقسيمها إلى أيديولوجيا اجتماعية، وثقافية، ودينية وسياسية، وذلك بناء على مضمون الرواية من حيث السرد، فجاء المضمون ملائماً للشكل الروائي، ومتناغما معها حتى وأن طغت الأحداث التاريخية على معظم رواياته، كونه راوياً مبدعاً جسد التاريخ العربي الإسلامي، والفلسطيني من خلال كتاباته، فلغته الروائية جاءت مكثفة، ومتعالقة، ومتشابكة مع النصوص الأيديولوجيا التي تناسب القراء.

ويلاحظ قارئ هذه الروايات والمتمعِّن فيها أن هناك رابطاً عاما، هو البحث عن العجز داخل المجتمعات، وأسباب الهزيمة ومستوياتها، وفتح الآفاق للقارئ ليبني موقفا من ذلك، وعكست هذه الروايات الماضي والحاضر العربي، والفلسطيني مرورا بالخلافات الإسلامية المتعاقبة العباسية والمماليك والعثمانية، ثم الانتداب البريطاني والاحتلال الإسرائيلي، وكأنه يريد أن يضع القارئ في دائرة يتعرف هو إلى ما بداخلها من أحداث منذ الزمن الماضي، وأن هناك أحداثاً تاريخية تعاد بشخصيات أخرى، وهو بذلك يحاول أن يعبد الطريق لأدباء وكُتَّابٍ غيره لتناول الواقع الفلسطيني عاكسا الأحداث التاريخية القديمة عليه.

أخيرا تأمل الباحثة أن تكون قد أنجزت هدفها وحققته من خلال كيفية توظيف الأيديولوجيا في روايات عوض، وقد أعطت ذلك الحق الوافر للكاتب، ولكن لا تزال هناك إشارات غامضة في كتابات عوض بحاجة إلى باحثين آخرين لدراسة أعماله الروائية من جوانب أخرى؛ لأن أعماله يستوجب الوقوف عليها دراسةً وتحليلاً .

المراجع والمصادر

-القرآن الكريم.

-ابن العبد، طرفة. الديوان، شرح الأعلم الشنتمري، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، دارالثقافة والفنون تحقيق تدرية الخطيب ،لطفي الصقال.

-عزة، كثير الديوان، تحقيق: إحسان عباس دار الثقافة،بيروت، لبنان، 1971.

-عوض، أحمد رفيق ، العذراء والقرية، صدرت عن اتحاد الكتاب والأدباء الفلسطينيين،عام 1992.

-عوض، أحمد رفيق . قدرون ، صدرت عن اتحاد الكتاب الفلسطينيين بالتعاون مع مؤسسة نوراد الترويجية، عام 1995.

-عوض، أحمد رفيق . مقامات العشاق والتجار، دار الفاروق لثقافة والنشر ، عام 1997.

-عوض، أحمد رفيق . آخر القرن ، صدرت عن اتحاد الكتاب الفلسطينيين،عام 1999.

-عوض، أحمد رفيق . القرمطي، صدرت عن بين المقدس للنشر والتوزيع في رام الله، عام (2001).

-عوض، أحمد رفيق . عكا والملوك ، بيت المقدس للنشر والتوزيع، رام الله، عام 2003.

- إبراهيم،عبد الله. السردية العربية ،بحث في البنية السردية للموروث الحكائي العربي،ط1،المؤسسة العربية للدراسات والنشر ،بيروت،2000.

-الأحمداني، حميد، النقد الروائي و الأيديولوجيا بيروت: المركز الثقافيالعربي 1990.

-إدوارد،سعيد. العالم والنص والناقد،ترجمة:عبد الكريم محفوظ،اتحاد الكتاب العرب،دمشق،2000.

-الأسطة، عادل، العشق المر : الأدب والايدلوجيا، دفاتر الايام ، بتاريخ 22-4-2018.

- الأشقير، عبد الرحمن .(2011). معتقدات شعبية في الحياة اليومية، المشراق، جريدة العرب الاقتصادية الدولية،25 كانون ثاني.

- أندراو (2018). ما هي المعتقدات المفيدة للذات العربية، الحادي عشر من توز2018.

الأيديولوجية السياسية، موقع الجامعة، موقع الكتروني، الجامعة، (2017)

- إيجلتون ،شيري. النقد والأيدولوجيا، تر: فخري صالح المجلس الأعلى للثقافةوالعلوم2005.

-الباش، حسن، والسهلي، محمد .(2005)، المعتقدات الشعبية في التراث العربي: دراسة . في الجذور الأسطورية والدينية والمسلكية الاجتماعية، سوريا: دار الجليل.

- بالحسن، عمار.الأدب والإيديولوجيا ،المؤسسة الوطنية للكتاب،1984.

- برقاوي، أحمد.(2016). الدين والأيديولوجيا، مجلة البيان، الإمارات، تشرين أول2016.

- البعلبكي ، منير. المورد، دار العلم للملايين ،بيروت،ص:363.

-البغدادي،محمد شكري الألوسي.بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب،تحقيق:محمد بهجة الأثري،دار الكتاب المصري.

- بلقزيز، عبد الإله.(2021). الأيديولوجيا ومفاهيمها، موقع سكاي نيوز، شباط 2021.

- بلقزيز، عبد الإله.المعرفي والأيديولوج في الفكر العري المعاصر،مركز دراسات الوحدة العربية،المستقبل العربي،م33،ع2010،382.

-بنيس،محمد.الشعر العربي الحديث بنيته وإبدالاتها،ط3،دار توبقال للنشر ،الدار البيضاء،2001.

-بوزيان،زياد.(2018). البناء الفني في الرواية الجزائرية، ديوان العرب،موقع الكتروني.

- بيوتي، جان مارك :فكر غرامشي السياسي،ط1، ترجمة، جورج طرابيشي، دار الطليعة، بيروت – لبنان، ص: 182 .

-التنوخي،القادي علي بن المحسن.القصيدة اليتيمة،ط3،تقديم:صلاح الدين المنج،دار الكتاب الجديد،بيروت ،1983.

-الجيار، مدحت، النص الأدبي من منظور اجتماعي، دار الوفاء الإسكندرية، 2001.

-الخشاب ،وليد.دراسات في تعدي النص،المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة،1994.

-الخطيب، محمد كامل (1981). الرواية والواقع، دار الحداثة، بيروت، لبنان، ط1.

-الخطيب، محمد كامل (1990) نظرية الوراية، وزارة الثقافة السورية دمشق.

-خليل، إبراهيم.(2010). الرواية بين الايديولوجية والفن، الرواية الاردنية نموذجا.

-الخليلي، علي (2006). رواية بلاد البحر لأحمد رفيق عوض، جريدة الأيام،20تمور 2006.

- خواجا ،علي .عين السارد،دار الماجد للنشر والتوزيع،رام الله،2003.

-خواجا،علي.جوائز الفحم،المؤسسة الفلسطينية للإرشاد القومي، رام الله ،2003.

-خواجا،علي . مقاربات نقدية ،دار الماجد للنشر والتوزيع ، رام الله،2004.

-الرافعي،محمد صادق.وحي القلم ،ط1،دار الكتب العلمية،2000.

-رزقة، يوسف، بنية الخطاب في رواية القرمطي، مقارنات نقدية جمع علي خواجة.

-ريابوف، ف. 1984 الفن والأيديولوجيا. ت ر:دار الحوار للنشر والتوزيع.

-زلط،أحمد. مؤثرات أيديولوجية في أدب الطفل العبري (مقارنة تأويلية) ،علم الفكر ،م35،ع4،2007.

- الزهراء،نسيسة .(2016). المعتقدات الثقافية وتأثيرها على البنى الاجتماعية في منطقة متيجة، جامعة الجيلاني، خميس مليانة، الجزائر.

- زيتوني،لطيف. معجم المسطلحات،نقد الرواية،ط1،دار النهار ،بيروت،2002.

-زين، سليم . (2014) ابو العلاء المعري، موقع موضوع، آذار، 2014.

-سعيد،جلال الدين. معجم المسطلحات،والشواهد الفلسفية ،دار الجنوب للنشر،تونس،2004.

-السعيد،عموري.الأيديولوجيا الخطاب والنص ،نحو مقاربة مفاهيمية،جامعة قاصدي مرباح،ع18،أيلول 2013.

-سعيد، يقين. 1917 تحليل الخطاب الروائي ط 3 المركز الثقافي العربي بيروت.

-سلحوت،جميل .(2010). رواية اكتشاف الشهوة ودخول العولمة بجسد المرأة، منشور أنترنت بتاريخ 12-12-2010.

- سليمة، عبرواي. الرواية والتاريخ دراسة في العلاقة النصية، رسالة ماجستير، يوسف بن خدة 2006. ص: 20.

-سيتون ،جين. الرواية التي إستشرفت الاستبداد الذي نعيشه الآن موقع BBC عربي،2020/4/20.

-شاكر، عبد الحميد .(2013). التفضيل الجمالي، دراسة سيكولوجية لتذوق الفني عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون، الكويت، ع267، ص133.

-شاهين، معالي ، البني السردية في رواية احمد رفيق عوض: القرمطي وعكا والملوك نمونجا 2017.

-شحروري، صبحي (2004). مقاربات نقدية في روايات أحمد رفيق عوض، دار الماجد، رام الله.

-شفيع، السيد. اتجاهات الرواية المصرية، منذ الحرب العالمية الثانية إلى سنة 1967،

ص 21-23.

-صحيفة الغد. عوض: الادب الفلسطيني بعد، أوسلو ابتعد عن البطل الأسطوري.

-حـاوره يوسف الشايب.(25/7/2011) .https://alghad.com .استرجع في (12/5/2021).

-عامر، مخلوف.(2021). هل ينجو الأدب من الأيديولوجيا، صحيفة النصر، بتاريخ18أيار 2021.

-عباس ،إبراهيم. الرواية المغاربية ،تشكيل النص السردي في ضوء البعد الأيديولوجي،ط1،دار الرائد للكتاب،الجزائر ،2005.

-عبد الغني، أزهار .(2021). ما هي الأيديولوجيا، موقع سطور، شباط 2021.

العتوم، أمل .فلسفة كامو ضد الشيوعية،موقع إي عربي ،2020/7/6.

-عدوان، سعد. الشخصية الروائية في أعمال أحمد رفيق عوض، اطروحة لنيل درجة الماجستير،الجامعة الإسلامية،2014.

- العروي، عبد الله. مفهوم الأيديولوجيا، المركز الثقافي العربي ط65 بيروت،1993.

-عوض، أحمد (2018)، الهولوكوست، موقع كتاب، حياة أحمد رفيق عوض ، موقع الكتروني.

-عيلان، عمرو (2001)، الأيديولوجيا وبنية الخطاب الروائي، منشورات جامعة منتوري قسطينة، الجزائر ،ط1.

-غزاوي، عزت (1993). رسم الشخصية في الأدب الفلسطيني المحلي المعاصر، مجلة كنعان، رام الله عدد 23-24.

–فايد، محمد وعلي سحنين.أبحاث في الرواية ونظرية السرد،طاكسنج كوم للنشر ، الجائر،2014.

–فرهود،كمال قاسم. أعلام الأدب العربيفي العصر الحديث،مطبعة دار المشرق لترجمة والنشر،شفا عمر.

– فريحات، عادل. مرايا الرواية،إتحاد الكتاب العرب،دمشق،2000.

– فصول مجلة النقد الأدبي.زمن الرواية، الهيئة المصرية العامة للكتاب،م11،ع1993،4.–الفيصل، سمر. (2003)، الرواية العربية، الرؤيا والبناء،طلا، دمشق، أتحاد الكتاب والأدباء العرب.

–القاسم، سيزا. (1984). بناء الرواية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط1.

– القادي،محمد وآخرون.معجم السرديات،ط1،دار محمد للنشر،تونس،2010.

–قطوسة، حسن ماجد. (2013). توظيف التاريخ في روايات أحمد رفيق عوض، رسالةماجستير، جامعة القدس، فلسطين.

–قلقيلة تايمز (2020). المعتقدات الشعبية في فلسطين، قلقيلة تايمز، كانون الثاني 2020.

– كامو،ألبير.موس ستانفورد للفلسفة ،ترجمة: سارة اللحيدان،نشر في موقع حكمة.

–الكردي ،عبد الرحيم. الراوي والنص القصص ،ط2،دار النشر للجامعات،1997.

–كنارا.(2015)، جوائز كتارا للرواية العربية، سرديات مجلة كتارا الدولية.

–لابروزين، عبيد .(2017)، الأدب والأيديولوجيا، مجلة العرب الجديد، الأول من كانون الأول عام 2017.

–الماضي، شكري،(2007). إنماط الرواية العربية الجديدة، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ع355.

–متوكل، طه. المختلف، دراسات في عالم أحمد رفيق عوض الروائي والمسرحي، ص62

.– مجموعة مؤلفين (2003)، جوائز الفحم، دراسات في روايات أحمد رفيق عوض المؤسسة الفلسطينية للإرشاد القومي، رام الله.

– محمودي، بشير .(2014). بنية الحدث في الرواية الجزائرية الجديدة، الوجه الأخ،موقع إلكتروني.

– مجمع اللغة العربية.المعجم الفلسفي،الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية،1983.

– مجمع اللغة العربية.المعجم الوسيط،المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر،1960.

– محمود،زكي نجيب. الأيديولوجيا ومكانها من الحياة الثقافية،فصول مجلة النقد الأدبي،الهيئة المصرية العامة للكتاب،م5،ع1985،4،ص:27.

– المحيميد، يوسف.(2017)، تحييد الأيديولوجيا عن ملامح النص الروائي، صحيفة الشرق الأوسط، 12 شباط 2017.

–أبو مراد، فتحي. (2013) دراسة تحليلية للرواية الفلسطينية، قراءة الشخصية النسوية والمحورية، مجلة اتحاد العرب، م،10، ع1 ، آب ،2013.

–المسيري، عبد الوهاب.(2018). كيف نفهم مصطلح الأيديولوجيا في سياقنا العربي، مدونات الجزيرة، 25 كانون ثاني 2018.

–معالي ،حنين . الرواية بين الأيديولوجيا والفن، الرواية الأردنية أنموذجا،شركة الآن ناشرون وموزعون،2021.

–المعجل،سعاد فهد.إنتبهو...الأخ الأكبر يراقبكم،صحفة القبس،2020.

-المعري،أبي العلاء.(1376)هـ ديوان سقط الزند، دار بيروت للطباعة والنشر – دار صادر للطباعة والنشر، (د . ط) ، سنة 1957 م ، ص: 7 .

-ناصر ، زاهي .القرية والمدينة في الرواية الفلسطينية المعاصرة،أحمد رفيق عوض أنموذجا،أطروحة لنيل درجة الماجستير،جامعة القدس،2013.

-نصر الله، إبراهيم. (2005)، العلاقة ما بين الأدب والأيديولوجيا، محاورة في قناة الجزيرة، بتاريخ 20/8/2005.

- النويري،أحمد بن عبد الوهاب شهاب الدين.(1423)هـ،نهاية الأرب في فنون الأدب،ط1،دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة.

-وادي، فاروق (2007)، مدخل تاريخي للرواية الفلسطينية . مؤسسة فلسطين للثقافة بتاريخ 18-2-2007.

- وفا (2020). المعتقدات الشعبية الفلسطينية، وكالة الأنباء والمعلومات الفلسطينية.

-ونوس،سعد الله. توظيف التراث في المسرح،دار الاوائل ،دمشق،سوريا،(د.ط)،2000.

-ويلك،رينيه وأوستن ورين. نظرية الأدب ،ترجمة:محيي الدين صبحي، المجلس الأعلى للفنون والأدب،2000.

-هيود،أندرو.مدخل إلى الأيديولوجيا السياسية ،ترجمة :محمد صفار،ط1، المركز القومي للترجمة،القاهرة ،مصر،2012.

– يقطين ،سعيد. الكلام والخبر،مقدمة للسرد العبي ،المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء ، المغرب،1997.

الملاحق

مقابلات عوض

في السؤال الأول في التعريف عن نفسه أكد على ثلاث معلومات أنه عربي فلسطيني مسلم وأن هذه المعلومات تهمه للتحديد الثقافي والجغرافي له كونه مازال تحت الاحتلال، له أنتماء عربي خالص وأن التخلف، أو الترهل العربي يسيء له، ويحس بإهأنة شخصية عندما يهأن العرب ويشعر بعمق كونه عربي، لأنه كونه روائي يعمق هذا الاحساس العربي في الدوائر الثلاث: العربي، الفلسطيني، المسلم، خصوصا عند تابه نص روائي يعمق هذا الاحساس في العروبة والوطنية وفلسطينيته وإسلاميته، ويستطيع أن يوافق بين هذه الثلاث المصطلحات من خلال النص الروائي، وهي التي تعطيه القوة والصعود إلى القمة ومواجهة الآخر وتزيده فخر بهذه المصطلحات الثلاث.

في سؤال عن توظيف الأيديولوجيا في رواياته يؤكد أن أي نص روائي يجب أن يحتوي على الأيديولوجيا لأنه بحاجة إلى مرجعيات يكتب عنها فلا نص دونما مرجعية، أو كما يسميه التناص، أو إحالة، أو دلالة، والرموز الذي يكتب عنها لها أيضا مرجعيات، أو كما يمسه هناك ناظم للنص الروائي، تكون الدلالات، أو الرموز الثقافية، أو اجتماعية، أو عرقية، أو حتى وجود الحجر، أو الشجر، أو الحيوان في النص له مرجعية ودلالة، ويضع علاقة ما بين هذه الدلالات، فالروائي كالفنأن، والسياسي، أو المهندس، لأن هناك تناغما فيما بينهم

لأنهم ينطقون من رؤية قد تكون متفككة، أو متجأنسة، أو منسجمة، أو لها جماهير، فأي نص موجود يجب أن يتكئ على مرجعيات فكرية، ودينية، تجعل له معنى.

تقوم رواياته على التعمق في التاريخ – كما يقول– لأن التاريخ يعطي القدرة على التحريض، والوعي، وأنتاج الوعي من جديد، خصوصا في علاقتنا في حياتنا، فالتاريخ هو المرجعية، لأن هناك من يقدس الماضي وهناك من ينبذه فالعلاقة جدلية، وكل تجربة تاريخية لها خصوصيتها في وقتها،فالتاريخ مخادع– كما يقول– فيلجأ إلى التجربة والظاهرة ويحاول أن يستعيد مصادر القوة، والمواجهة، والبطولة، وقوة الثقافة، فكل رواياته تميل إلى الأجرأ والأقوى وهذا نابع من سعة الكاتب، دونما تقديس لأي نص، أو ظاهر تاريخية، لأن البشر تخطئ وتصيب، فلا قداسه، فعند كتابته يلجأ إلى قوة التجربة، وقوة المواجهة، ويستفسر عن سبب المواجهة، أو فقدأن القوة.

وعند سؤاله عن المكان في رواياته –يقول– بأنه مهم جدا ومسيطر عليه، محتل، ومختطف من قبل الأخر، ويدعي المحتل بسرمدية المكان له، والسيطرة عليه وامتلاكه، وتغريبه بالنسبة لنا، والمكان عنده يجب أن يستعاد من جديد، وتحويله إلى قلب نابض، لاهتمامنا به عن طريق اهتمامنا بالأرض فهي من تمثلنا، فالحديث عن يافا، وحيفا، والناصرة، والقدس، مهم جدا لذكر الوطن في رواياته، فالمكان لنا وإدخال الأيديولوجيا هنا مهم من ناحية الدين، فالمكان دينيا ليس للمحتل، باعتبار أن فلسطين هي (طابو) إلاهي، أبدي للفلسطينيين، لأن هناك علاقة دينية،هامة مرتبطة، بيننا وبين المكان، فعلاقتنا بالمكان علاقة بأخلاقنا، وامتلاكنا للمكان هي قدرتنا على ارتباطنا بديننا وأخلاقنا والرفعة، وامتلاكنا للمكان أيضا لن

يكون إلا عندما نكون صالحين، (والأرض يرثها عبادي الصالحون)، والصلاح هي الأيديولوجيا الدينية التي يمتلك منها الفلسطيني، والصلاح يكون مع النفس مع المجتمع ومع الطبيعة ومع الأخرين، ونحن نفقد هذا المكان لأننا نفقد الصلاح مع أنفسنا بالمعنى الديني، والحضاري، والإنساني، والمكان موجود بداخله كما يقول.

أما عن البطولة فهي تعجبه ويحاول أن يفسر عن كيفية وجودها، وعن الظروف التي تنشئ البطل، ومتى ينشئ المنقذ للأجيال والتاريخ، والرجل الذي يتصف بصفات يتفرد بها عن غيره،

ومن خلال كتابته يظهر البطل كمخلص للتاريخ والأمة من خلال الأيديولوجيا، وعلاقة ذلك بالبطل والجمهور، ومتى يحتاج الجمهور إلى البطل، وكيف ينتجه، كما في رواية قدرون، وعكا، والملوك، هل على البطل أن يقطف النتائج؟ أم يسعى للتغيير؟، وبما أن البطولة هي إيمان الفرد بقدرة الفرد في التاريخ، فهل الفرد هو الأساس أم الجمهور هو الأساس؟

لقد تكلم في التاريخ الإسلامي عن عكا، وحصارها، والقرامطة، والكعبة، ورحلة روحية لصوفي للراهب يرى بلاده تنتهك من قبل الصليبيين، وعلى أي مقولة أستند الصليبيون على البلاد العربية لينتهكوها، وهل المستعمر هو هو أم تغير؟ هل نحن كما كنا أم تغيرنا؟ ووجودنا يمثل تحدي أمام الاحتلال وكيف يمكن أن نرد هذا المحتل والمشروع الصهيوني، كما رددنا المشروع الصليبي الاستيطأني، ولدينا ثقافة الرد على الأخر(العدو)، وهذا نوع من أنواع الأيديولوجيا، وهذا منذ زمن بعيد، وأن الثقافة العربية الإسلامية هي ثقافة ردود على النقيض المختلف، منذ القرن السابع الميلادي.

الأيديولوجيا في رواياته تنبع من رؤية عربية، إسلامية، قومية، دينية، لأننا مظلمون، ويريد أن يرجع إلى جذوره العربية، والقومية، وهو ما يريد أن ينشره بين الأجيال، وهي جذور موحده عن العالم العربي، تفرق عن ما هي الأن، وهذا يعتبر البحث عن نقاط القوة، من داخلنا كعرب، وهذا ما هو موجود في الروايات، وأهم مقولة ايديولوجيا عنده هي القومية، والبعد عن العنصرية والتعصب، والمنفتحة، والمشتبكة مع الأخر، وعلى القاعدة الدينية التي تتسع لكل البشر، الذي تنبذ أيضا العنصرية، وتدعو إلى التسامح، والتقوى البعيدة عن كل عرق، أو جنس(أن أكرمكم عند الله أتقاكم)، فلا بالطول، ولا بالقصر، ولا باللون، ثقافة تعمل تشارك مع الكل بعيدة عن التعصب، والأنتهاكات، وعلاقة الاحتقار، فهذا ما يهمه في كتاباته، لأنه هو كذلك.